مجلة البيان – العدد 17 ، شعبان 1409 هـ / مارس 1989م

الإفتتاحية

معركة وهمية

كـنـا نـود أن لا نـتـعـرض لهذا الموضوع ، لاعتقادنا بأنه لا يستحق أن يتخذ منه المسلمون جـبـهـة جـديـدة يفـتحونها على أنفسهم، ولكن لأن هذه القضية بما -وصلت إليه- تصلح للاعتبار ؛ فقد أصبح لابد أن نقول فيها كلمة.

وقبل كل شيء نقدم مختصراً لهذه المشكلة التي تتلخص بأن كتاباً ألفه مرتد عن الإسلام من أصل هندي، باحثٌ عن الشهرة، درس في مدرسة تبشيرية قبل مجيئه إلى بريطانيا، التي أكمل تعليمه فيها، واستوطنها. والكتاب هجوم مقذع على الإسلام، وشريعته، ونبيه -صلى الله عليه وسلم- ، وصحابته الكرام ، وقذف مر لأمهات المؤمنين بأسلوب سوقي وضـيـع، بـل هـو في مجمله سـخـرية شـديـدة بكل ما تعارف عليه البشر من معان سامية، وشخصيات قدوة.

وليست هذه هي المرة الأولى التي يتهجم فيها هذا الكاتب المأفون على الإسلام ، بل سبقت له مناسبات قبلها ، ولعل الغربيين فطنوا إلى أهمية أن يهاجم الإسلام ويشهِّر به شخص كان في الأصل مسلماً ؛ فاحتضنوه ، وشجعوه عن طريق أجهزة الإعلام من صحافة وإذاعة ودور نشر ، وعن طريق منحه جوائز لترويج كتبه ، وتسابقت كثير من الصحف تفسح له صفحاتها ، وتنقل فقرات من كتابه ، وتقدم عرضاً له ، وهذا عمل مألوف في كل عمل له رأي سلبي حول الإسلام ، أو ما يتعلق به.

وقد تنبه بعض المسلمين في بريطانيا لما في هذا الكتاب من أكاذيب حول نبي الإسلام ، ومن قصد سيء لهذا الكاتب ولناشر كتابه من أجل النيل من الإسلام ، وتجديد تصويره بأبشع الصور عن طريق أرخص السباب والشتائم المقذعة التي لا يقدم عليها إلا شخص يستهين بكل مبادئ البحث العلمي والموضوعية ، فاعتبروا أن هذا العمل يستحق الشجب ، واستعملوا أغلب الطرق القانونية المعروفة في الدول "الديموقراطية" للاحتجاج على نشر هذا التشويه المتعمد لكل ما يعتز به المسلمون.

وقد كان الأمر يسير سيراً طبيعياً ، ولا يثير أية ردود فعل ، إلى أن قام المسلمون بمظاهرة في مدينة "برادفورد" في شمال إنكلترا، عبروا فيها عن شجبهم للكتاب بالقيام بعمل رمزي فأحرقوا نسخة من الكتاب ، وعلى أثر ذلك ثار بركان الغضب المكتوم عند غير المسلمين، فشجبوا تصرف المسلمين هذا ، وليس هذا فحسب ؛ بل بدأت الصحافة بطرفيها : (الرصين والوضيع) حملة لا مثيل لها في الهجوم على الإسلام ، والسخرية من

المسلمين، ولم يبق في جعبتها نعت من نعوت التخلف والتعصب إلا وألصقته بالمسلمين وفكرهم ، ودولهم ، وتاريخهم ، وعاداتهم ، وكل شيء يتعلق بهم.
واعتبرت الصحافة ما قام به المسلمون للفت النظر إلى مشاعرهم ومدى إحساسهم بالألم اعتداءً على حرية الفكر ، وعداءً للديموقراطية وحقوق الإنسان ، وتهديداً للمجتمعات التي يعيشون فيها ، بل وسخَّرت أقلاماً كثيرة ، لتحصر الاعتراض على ما جاء في الكتاب في مجموعة من المسلمين محبة للفوضى متعطشة للتخريب ، منغلقة الفكر ، ولكي تكسو دعواها هذه برداء يشبه الحقيقة ؛ كانت تلجأ إلى بعض الشخصيات "المارقة" ذات الأصول الإسلامية ، ممن لا يختلف عن "رشدي" إلا بارتدائهم ثوب البحث العلمي والأكاديمية ، فتستكتبهم ، أو تجرى معهم المقابلات التي يسفهون فيها آراء المسلمين ، ويسخرون من طريقة تناولهم للأمور... وهكذا. وفي الوقت الذي كانت فيه الصحافة تصول وتجول منفردة بعرض وجهة نظرها ؛ كانت وجهات نظر المسلمين تُتَجاهل ، ويُسخر منها بتحامل شديد ، وبعد عن الموضوعية والحياد.
وبعد أخذ ورد ومحاولات كثيرة قام بها المسلمون للتعبير عن غضبهم، وتجاهل الصحافة؛ وتـجـاهـل المـسـؤولـيـن؛ بـل وتـحـدٍ من الكاتب والناشر؛ دخل على الخط عنصر آخر في المواجهة ، فبينما كانت الدول بعيدة تقريباً عن مجرى الصراع ؛ إذا بنا فجأة نجد أن هناك من تقدم ليخطف الراية ، ويقود المواجهة!.
ونـحـن نـرى أن هـذا الاختطاف للراية ليس من البطولة في شيء ذلك لأنه لا تـكـافـؤ بين الـخـاطـف والمخطوف منه، فالخاطف دولة، والمخطوف منه منظمات وأصوات لا تتبناها دول ، هذا من حيث الشكل الخارجي ، أما إذا لجأنا الى التفسير الباطني للأحداث (وأظن أنه لا تثريب علينا في ذلك ، إذا أخذنا بمبدأ المعاملة بالمثل) فإننا يمكن أن نلمح أشياء كثيرة لا يجهلها إلا المصاب بعمى الألوان ، فتحويل الحملة لتأخذ هذا النطاق العالمي يخفي وراءه مقاصد كثيرة ، ويهدف إلى تحقيق مكاسب سياسية ، فيبعد أنظاراً عن مشاكل ، ويصبوا إلى استعادة ثقة أصبحت مهزوزة ، وليس هدفنا هنا الاسترسال في رسم الصورة لما وراء الأكمة.
المهم أن الغرب حول المعركة في الاتجاه الذي يريده ، وقادها بمقدرة فائقة بأجهزة إعلامه المتنوعة ، ولم يبقها محصورة في نطاق الموضوع المتنازع عليه ؛ بل اتخذ من هذا الموضوع وسيلة يخرج بها كل الكراهية والأحكام المسبقة التي يكنها للإسلام والمسلمين جميعاً دون تفريق ، وهو إن أشار إليهم أحياناً بإشارة يُشَمُّ منها تعاطف ما ، فهو لا يعدو تعاطفه مع جنس من المخلوقات يخشى عليها من الانقراض ، فيؤدي انقراضها إلى نقص في امتيازات الرجل الغربي "المتحضر"، ماذا نقول؟!... بل إن تجاوب هذا الرجل

الغربي "المتحضر"، القاسي القلب، المملوء جلده بالغرور والأثرة والغطرسة مع آلام الحيوانات أضعافَ أضعافِ تجاوبه مع آلام البشر إذا كانوا مسلمين لو بالوراثة ، دع عنك ما إذا كانوا مسلمين بالممارسة.

هل هناك دروس يمكن استخلاصها من هذا "المهرجان" التشهيري بالإسلام وحضارته ، وبالمسلمين ودينهم؟ ما أجدر المسلمين أن يوظفوا مثل هذه التجارب من أجل أن تكون لهم مواقف مبدئية لا تتأثر بالعواطف ، ولا تقوم على ردود الأفعال.

أول فائدة يمكن استخلاصها هي أن هذه الديموقراطية التي يتغنى بها الكثير هنا وهناك لا تقوم على أساس صحيح ، حتى لو حاول أنصارها أن يقنعونا بعكس ذلك ، بل حتى الأساس المفترض للمساواة بين البشر غير موجود فيها ، والصحيح أنها فلسفة مفصلة لنوع معين من البشر وهو النوع الذي يعتقد أنه أرقى من غيره عرقاً وأصلاً وفكراً وحضارةً ، ديموقراطية متناقضة مبنية على الكذب والادعاء والبعد عن الإنصاف، فهي في الوقت الذي تتهم المسلمين بأنهم يريدون أن يفرضوا أعرافهم وأفكارهم على غيرهم ؛ تقوم هي بالفعل والقول في فرض أعراف الإنسان الغربي وتقاليده وإفرازات حضارته في جميع أنحاء الأرض، حتى إذا أحد تململ أو قال: لا؛ سلطت عليه آلتها الإعلامية وضغوطها السياسية ، و "رمته بدائها وانسلت".

والفائدة الثانية أن الأفعال المنبعثة عن الهيجان وغليان الدم في مواجهة مثل هذه الأحداث قد تؤدي إلى عكس المقصود ، فدماء المسلمين أغلى من أن تراق من أجل أهداف وهمية، والقتلى والجرحى الذين سقطوا في (معركة الأشباح) هذه ؛ أولى لهم أن كانوا سقطوا في مواجهة أعداء محددين أمامهم أو على أرضهم ؛ لا أن يسقطوا بعيداً بآلاف الأميال عن مخبأ مارق خسيس تحتضنه الديموقراطية الغربية الوثنية.

رب قائل يقول : أين الغضب لحرمات الله التي انتهكت؟ ألم يكن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يغضب لحرمات الله حتى لا يقوم لغضبه شيء؟

والجواب : نعم كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يغضب غضباً منتجاً ، لا غضباً عقيماً. وحق لنا أن نغضب ، وحق لنا أن نمتلئ غيظاً ، ولكنه الغضب الذي يتجه إلى الهدف ؛ لا الغضب الذي يكون صرخة في واد ، الغضب الذي يبتعد عن الاستعراض والتهويش ، فيكون نفعه أكثر من ضرره.

الفائدة الثالثة: أن يوفر المسلمون جهودهم لما ينفع ويؤدي إلى صلاح حالهم ، وأن لا ينخدعوا بأساليب الديموقراطية الغربية وضمانها لحرية القول والتعبير والاحتجاج ، فهذه الحرية سلاح ذو حدين ، أضعفهما الحد الذي يستعمله المسلمون الذين يعيشون في ظل هذه الديموقراطية، وأشرسهما وأشدهما نكاية الذي تستعمله هذه الديموقراطية وعُبَّادُها ضد من يقف في وجه اعتدائهم ووقاحتهم.

الفائدة الرابعة: أن حقوق المواطنة سراب خادع مادام الإنسان حريصاً على أن يبدو مسلماً قولاً وسلوكاً ، والجمع بين هذه الحقوق ؛ وبين أن يكون المسلم مسلماً ؛ كالجمع بين الماء والنار ، وتستوي في هذه النتيجة كل الديموقراطيات : شرقية وغربية ، كما تستوي في النظر إلى المسلم نظرة الاشتباه والترقب والحذر كل العلمانيات : المسيحية والممسوخة.

وأخيراً فإن من أساليب أعداء الإسلام استغلال بعض الظواهر التي تثير المسلمين ، فينفخون فيها ، ويصطنعون منها معارك ، فيجهزون الساحة ، ويحشدون النظارة ، ويغرق الفريقان غير المتكافئين في حمى التشجيع ، ولا يعودان يميزان أماماً من وراء ؛ ولا يميناً من يسار ؛ ولا فوقاً من تحت ، وهي معارك حتى لو انتصر فيها المسلمون ، فانتصارهم ليس إلا (فقْعة في قاع !) (1) ، وقد يكتشفون أو لا يكتشفون أن المستفيد الحقيقي من هذه المعارك ليس المنتصر ، بل الذي أقامها وحشد لها ، وهم في الحالة الراهنة الغربيون ومن يشاركهم العداء للإسلام وأهله في كل مكان ، وما استفادوا هو أنهم أظهروا المسلمين بالصورة التي يريدون ، وروجوا ما شاؤوا من الأفكار ، وسوّقوا انتاجهم الرخيص بثمن غالٍ ، واستفرغوا طاقات كثيرة للمسلمين في محاربة طواحين الهواء.

ألا من وقفة أمام تعريف الحكمة وتحديدها؟!.

الحكمة التي قال الله تعالى فيها :

((يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ، ومَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً ، ومَا يَذَّكَّرُ إلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ)) [البقرة:269].

1- هذا مثل ، تقول العرب : فلان أذل من فقعة في قاع . والفقع : الردئ من الكمأة .

مجددون معاصرون

حسن البنا

-2-

الدرس الخامس :

كان من لا يعرف حسن البنا تـشـده إلـيـه طريقـته المهذبة الرقيقة في التعامل مع الناس... كتب عنه عدد كبير من المفكرين العلمانيـيـن أو الـعـصـاة ، فـشـهدوا بحسن أخلاقه وأدبه وتواضعه رغم اختلافهم معه في الأفكار والتصورات ، ولكنهم أنصفوا الرجل. يقول إحسان عبد القدوس في روز اليوسف 12 سبتمبر / 1945 ولا يخفى على أحد طبيعة هذه المجلة واتجاه أصحابها :

"لو زرت حسن البنا لاستقبلك بابتسامة واسعة ، وآية من آيات القـرآن الـكـريم ، يعقبها بيتان من الشعر ، يختمها بضحكة كلها بشر وحياة. والرجل ليس فيه شيء غـيـر عادي، ولـو قابلته في الطريق لما استرعى نظرك ، اللهم إلا بنحافة جسمه ولحيته السوداء الـتـي تتلاءم كثيراً مع زيه الإفرنجي وطربوشه الأحمر الغامق.."، ثم تحدث عن لباقته وقدرته على الإقناع ، ورزانة أسلوبه.

ويقول الأديب الكبير أحمد حسن الزيات :

"وجدت فيه ما لم أجد في قبيله ، أو أهل جيله : من إيمان بالله راسخ رسوخ الحق ، لا يزعزعه غرور العلم ، ولا شرود الفكر ، وفقه في الدين صاف صفاء المزن ، لا يكدره ضلال العقل ، ولا فساد النقل ، وقوة في البيان مشرقة إشراق الوحي لا تحبسـهـا عقدة اللسان ، ولا ظلمة الحس، إلى حديث يتصل بالقلوب، ومحاضرة تمتزج بالأرواح، وجاذبية تدعوك إلى أن تحبه ، وشخصية تحملك على أن تذعن !!"..

ثم قال الزيات : »والفطرة التي فطر عليها حسن البنا والحقبة التي ظهر فـيـهـا حسن البنا تشهدان بأنه المصلح الذي اصطنعه الله لهذا الفساد الذي صنعه الناس« عن كـتـاب [حسن البنا ، الداعية الإمام والمجدد الشهيد، أنور الجندي، ص 268].

يقول الشيخ محمد الغزالي في قمة خلافه مع الإخوان وبعد أن تخلى عنهم :

»شهدت رجلاً كان يهاجم الأستاذ البنا -رحمه الله- في الهيئة التأسيسية مهاجمة عنيفة، ويخاطبه بما لا يليق من الألفاظ. فلما ثار عليه الإخوان غضب الإمام الشهيد وثار في وجه الغاضبين ، حتى لقد أخرج بعضهم ، ثم أقبل مبتسماً على هذا المهاجم المـتجني ، وقـال له :

قــل مــا شئت وانقدني كما ترى، فلن تُقاطع بعد ذلك، ولعلي أجد في قولك ما أصلح به خطأ أو أقوم به معوجاً ، [من معالم الحق 257 ، دار الكتب الحديثة].

أشار الأستاذ البنا في مذكراته إلى سبب من الأسباب التي دعت جماعة شباب محمد إلى التخلي عن الإخوان فقال :

»وكان هذا الشعور نواة لتفسيرات لاحقة [يقصد تملق أحد الإخوان للنواب وقادة الأحـزاب في حفل عام] لتصرفات كثيرة مشابهة ، وما زال يتـضخم حـتى صار أسـاس فتنة ذهـبت بمجموعة من خيار الإخوان ، وحالت بينهم وبين العمل في هذا الميدان« [المذكرات 252].

والشاهد هنا أنه رغم وقوع خلاف بينه وبـيـنهـم، ورغم انفصالهـم عن الإخـوان وقـيـامهم بـتـأسـيـس جـمـاعة جـديـدة أسموها "شـبـاب محمد" ، فلقد وصفهم البنا بأنهم من خيار الإخوان، وحاشاه أن ينشر عنهم الأراجيف ، ويتهمهم بما هم منه برءاء ، ويؤلب الأجواء ضدهم ، ويـسـخـر عشرات الآلاف

من إخوانه ليقوموا بتشويه سمعتهم أمام الناس... ليس هذا من خلق البنا ، وهو الذي يقرأ في كتاب الله قوله تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ولا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى واتَّقُوا اللَّهَ إنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)) [المائدة:8].
فهم عنده من خـيـار الإخـوان وإن وقـعـت الخصومة بينه وبينهم... ما أشد حاجة الدعاة والجماعات اليوم إلى مثل هذه الأخلاق الرائعة ، وما أشد حاجتهم إلى التأسي برسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذي وصفته عائـشـة -رضـي الله عـنهـا- بـقـولهـا : »كـان خلقه القرآن«.

الدرس السادس :

نجح البنا في تحويل الأفكار والأماني إلى واقع ملموس.
فإذا تحدث عن الزكاة مثلاً لم يقف عند حد الوعظ، والتذكير، وترغيب الناس وترهيبهم بل تراه يأمر بتنظيم لجنة مهمتها جمع الزكاة من الملتزمين في الجماعة وغيرهم من عامة المسلمين ، ثم يقومون بتوزيعها حسب الطرق الشرعية المعروفة.
وكذلك يفعل في مختلف جوانب البر والخدمات الاجـتمـاعية ، فيقدم المساعدات للعاطلين عن العمل ، والمرضى ، وغيرهم من المنكوبين والمحتاجـيـن ، وكان لقـسـم البر والخدمات شعب في مختلف أنحاء مصر ، وعندما كان يدرب إخوانه على عمل خيـري ، كان يقـول لهم : هذا أفضل من عشرات الدروس في الوعظ.
وخطط -رحمه الله- لتكون الجماعة غير محتاجة إلى عون أية جهة حكومـيـة ، أو غـيـر حكومية ، فأسس الشركات الاقتصادية وكان من أشهرها :
شركة المعاملات الإسلامية، والشركة العربية للمناجم والمحاجر، وشركة المطبعة الإسلامية والجريدة اليومية ، وشركة التجارة والأشغال الهندسية بالإسكندرية ، وشـركة الإعلانات العربية، فضلاً عن تأسيس المستشفيات المجانية [انظر الإخوان المسلمون والمجتمع المصري ص : 131].
ومما لاشك فيه أن هذه الشركات أرهبت فاروق ، والأحزاب ، والإنكليز ، وأشعـرتـهـم أن هذه الجماعة ليست مجموعة من [الدراويش] ، ، وإنما هي واقع ضخم لم تعرفه منذ عدة قرون.

الدرس السابع :

كان الرجل جاداً عندما نادى بتحرير مصر وغيرها من بـلـدان الـعـالم الإسلامـي مـن نـيـر الاستعمار الدخيل ، والمجدد لا يعرف الهزل في قضايا ديـنـه وأمـتـه... لقـد أخذ الـبـنـا يخطط من أجل طرد الإنجليز من مصر ، ومن أجل طرد اليهود من فلسطين ، وشكل -رحمه الله- تنظيماً عسكرياً ، وأخذ يبتاع الأسلحة ، ومصر كانت مخزن أسلحة ، لاسيما أثناء وبعد الحرب العالمية

الثانية. قال -رحمه الله- في خـطاب جامـع ألـقـاه في المـؤتـمـر الدوري الخامس :
"في الوقت الذي يكون فيه منكم معشر الإخوان المسلمين ثـلاثـمـائـة كتـيـبة قد جهزت كل منها نفسها روحياً بالإيمان والعقيدة وفكرياً بالعلم والثقافة، وجسمياً بالـتدريب والرياضة، في هذا الوقت طالبوني أن أخوض بكم لجج البحار، وأقتحم بكم عنان السماء، وأغزو بكم كل عنيد جبار ، فإني فاعل إن شاء الله...".
انظر إلى قوله : [فإني فاعل إن شاء الله] ، وبدأ التنفيذ الـعمـلي عندما أمـر إخـوانـه في مصر وسورية والأردن دخول حرب فلسطين، وأبلت هذه القوات بلاء حسناً ، وكان اليهود يهابون المعارك التي يواجهون بها كـتائب الإخوان كما شهد رئيس أركان الجيش المصري في المحكمة وهو ليس منهم وليس من مؤيـديـهـم ، إنه رجـل دولة وقد صحا ضميره فأدلى بهذه الشهادة...
وسقط على أرض فلسطين المباركة عدد غير قليل من هؤلاء الشهداء الأبرار ، واستماتـوا في الدفاع عن الأقصى في الوقت الذي كانت فيه الأحزاب الشيوعية العربية تعلن تأيـيـدها لما أسمته حق إقامة دولة لليهود في فلسطين وكان دعاة العلمانـيـة مـن الأحزاب الـتي لبست لبوس القومية العربية لا تختلف مواقـفهـم عن مـواقـف الشيوعـيـيـن كثيراً، ومن يستقرئ التاريخ يجد وثائق لا تحصى تدمغ أصدقاء "اللنبي" و "لورنس" و "غلوب".. فهل تصحو ضمائر زعماء قادة منظمة التحرير فـيـعـترفـون بحقائق التاريخ الواضحة وضوح الشمس في رابعة النهار؟!
- ألا يعرف هؤلاء أن جيش عمر بن الخطـاب هو الذي فـتـح فـلسطـيـن وطهر الأقصى من دنس الرومان الصليبيين؟!.
- ألا يعرفون أن جيش صلاح الدين الأيوبي هو الذي فتح فلسطين وجعل منها مقبرة للغزاة الصليبيين؟!.
- هل نسي أو تناسى هؤلاء أن جند عز الدين القسام، والحاج أمين وعبد القادر الحسيني ، وجند الإخوان المسلمين من مصر وسورية والأردن وغـيـرها من الـبلدان العربية ، وجند الإسلام من تركيا ويوغسلافيا والهند وغيرها من البلدان التي يكثر فيها المسلمون ... هؤلاء جميعاً هم الذين استماتوا في الدفاع عن فلسطين عام 1936 وعام 1948م.
- أخبرونا من الذين يواجهون اليهود في فلسطين المحتلة منذ أكثر من عام؟!.. إن الذين يريدون فرض جورج وكابوتشي والشيوعيين علينا لا يريدون خيراً لفلسطين ، والتاريخ لا يرحم !!.
كانت سجون مصر تنتظر الإخوان المسلمين ، بعد عودتهم من حرب فلسطين ، ولكن الذين لم يدخلوا السجن وهم قلة أخذوا يستعدون لمعركة أخرى... وانتظروا أول فرصة سانحة ، أي بعد خـروج مجـمـوعـات من الإخـوان من

السجـن، فـبـدأوا معركة قنال السويس ضد الإنكليز ، وشارك في هذه المعارك بعض الضباط من الطيبين وغـيرهم ، فشعر المستعمر بأنه من الصعب جداً استمرار احتلاله لمصر لأنهم أصبحوا هدفاً لضربات الإخوان القوية في كل مكان من مصر ، وكان من أبرز أبطالهم الشيخ محمد الفرغلي ، والأسـتاذ يوسف طلعت ، اللذين أعدمهما نظام جمال عبد الناصر لأنه يعلـم أنـهـمـا سـيـقـاومـان كل انحراف وكل فساد...
وجملة القول : هذا جانب تجديدى من تجديد حسن الـبـنـا، وهـذه صفـحات مشرقة من تاريخ هذا الرجل في الجهاد.

الدرس الثامن :

كان البنا دائم التجديد، فلقد بدأ بداية مـتـواضـعة، ثم أخـذ يـطـور جمـاعـتـه، ويـطـور مخططاته... وكما قلنا فيما مضى كان من هذا التجديد المستمر في عمله : إنشاء الصحف ، والشركات، ومراكز البر والخدمات، ونظام الأسر، والنظام الخاص ... وكان -رحمه الله- يـعلـم أنه قد انضم إلى الجماعة في مختلف فتراتها عناصر غير متجردة، وكانت تريد مـن وراء ذلك مكاسب ومغانم، وأن من هؤلاء من توصل إلى مراكز قيادية في الجماعة... انـظـر إليه وهو يقول :
»في هذا اليوم تحدث إلي ... و... بخصوص نظام مجلس الإدارة، إن هؤلاء الناس لم يفهموا بعد دعوة الإخوان المسلمين، وقليلون هم أولئك الذين يستطيعون النهوض بأعباء إدارتها، وتنفيذ منهجها الواسع، إنني أتـمـنى أن يكون إلى جانبي رجال يفهمون ويديرون فـأسـلم إليهم هذا العمل وأرتاح بهم قليلاً وأطمئن إلى مقدرتهم ، ولكن أين هم؟
إن الكثيرين لا يفهمون من مجلس الإدارة إلا كلمة العضوية، فهم يتنافسون على حيازتها، وتقع بها بينهم العداوة والبغضاء.
سيتبع التغيير المنتظر ضجات هي كالسراب يلوح ثم يزول بمجرد الوصول إليه. فاللهم إن كنت تعلم حسن القصد وخلوص النية فوفق ، وإن كان غير ذلك فاسلك بنا سبيل عبادك المخلصين ، آمين ، [المذكرات 133].
وكتب قبل صفحتين يقول :
»على أن ملخص خطراتي أن فرعي جمعية الإخوان بالمحمودية وشبراخيت سوف لا تنفع كثيراً، لأنها أنشئت بغير أسلوبي، ولا ينفع في بناء الدعوة إلا ما بنيت بنفسي، وبجهود الإخوان الحقيقيين الذين يرون لي معهم شركة في التهذيب والتعليم ، وهم قليل. ونفس فرع الإسماعيلية ستحدث فيه تعديلات كثيرة ، ولكنه سيسير سيراً نـافـعاً إن شـاء الله ... إنه لله... قائد موهوب ولكنه منصرف بهذه القيادة وهذه المواهب إلى السفاسف مسرف في وقته لا يقدر له قيمة، قلبه مملوء بأوهام لا حقيقة لها، ومنصرف إلى ناحية لا تثمر إلا الـعناء، فالاعتماد عليه ضرب من المخاطرة العقيمة.

والأخ الشيخ.. له أساليبه الخاصة به. وهو ينظر إلي كأخ زميل فلا يصغي لآرائي إلا قليلاً، ومن هـذه الـنـاحـيـة يكون توحيد الفكرة ضرباً من التعسر؛ فالاعتماد عليه مخاطرة كذلك« [المذكرات 131].

وفي هذه الأسطر القليلة نقرأ عبارات تحتاج إلى دراسة واسعة لأهميتها ، والبحث لا يتسع لذلك ولكن نشير إليها :

- يـتمـنى أن يـكـون الى جانبه من عشرات الآلاف رجال قلائل يفهمون دعوته. انظر إليه وهو يتساءل : ولكن أين هم؟!.

- يعرب عن حزنه وألمه من هؤلاء الذين يتنافسون على عضوية مجلس الإدارة، ومن أجلها يتخاصمون.

- يؤكد أنه سوف يجري تغييراً وسوف ينشأ عن هذا التغيير ضجة.

- الاعتماد على غير المخلصين ضرب من المخاطرة العقيمة.

فمن هؤلاء الذين يقصدهم؟!... هل هم الذين تخلوا عنه وانضموا إلى حزب الوفد؟!.

أم هم الذين تآمروا فيما بعد مع عبد الناصر وأمثاله ضد إخوانهم؟!.

أم هم صنف ثالث استمروا في الجماعة وفقدوا رجلاً كالبنا يفهمهم على حقيقتهم؟!.

وفيما كتبه البنا -رحمه الله- موقف مهم من الصوفية وطرقهم وانحرافاتهم. قال -رحمه الله- :

»حضر إلى الإسماعيلية... من القصاصين وهو يدعو إلى الطريقة وله أفكار خاصة تنافي آمالي الإسلامية. وأنا إنما وقفت نفسي لدعوة أرى أنها خير السبل للإصلاح الإسلامي ، وأمثال هؤلاء يريدون تحويلها وتشكيلها بشكل دعواتهم وذلك مالا أريد..

لقد آن الأوان الذي أعتزل به عن كل هذه الدعاوى المشتبهة. وأكـشـف فـيـه عن الـغـايـة للإصلاح الإسلامي الذي يتلخص في الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ، وتطهـيـر العقول من هذه الخرافات والأوهام ، وإرجاع الناس إلى هدي الإسلام الحنيف« [المذكرات 132].

فعلى الذين يتحدثون عن صوفية حسن البنا في صغره أن يـتـدبـروا قـولـه هذا، ويـضـعـوا خطوطاً تحت قوله عن الصوفية : [تنافي آمالي الإسلامية].

وقوله : [لـقـد آن الأوان الـذي أعتزل به عن كل هذه الدعاوى المشتبهة].

وتأكيده بأن دعوته تقوم على الكتاب والسنة وتطهير العقول من هذه الخرافات والأوهام... وهكذا كان البنا -رحمه الله- دائم التجديد يكره الجمود والتقليد ، كما كان يسير بدعوته من مـرحـلـة إلى مـرحـلـة أخرى ، ويخطط لهذه المراحل ، ويعرف الموضع الذي يضع فيه قدمه... وكان يسمع النـقـد ويصغي لكل ناصح ، ويسارع إلى الاعتراف بخطئه ، ويمد يده لكل داعية للإسلام داخل مصر وخارجها.

ولقد أقلقت هذه الـظـاهـرة أعداء الإسلام من المسـتـعـمرين وأعوان فاروق ، وعلموا أن مركز القوة في الجماعة هو مؤسسها ومرشدها ، فدبروا محاولة اغتياله ، ومن الغرائب والغرائب كثيرة أن يكون حماة الأمن هم أنفـسهـم قـطـاع طـرق ، وجناة وقتلة... وفرح أعداء الإسلام داخل مصر وخارجها عندما علموا بنبأ قتله.

رحم الله البنا رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، اللهم لا تحـرمـنـا أجـره ، ولا تفـتـنا بعده ، واغفر لنا وله.

من مشكاة النبوة

حديث الفطرة

محمد سليمان

نص الحديث : في الصحيحين ، واللفظ للبـخارى عن أبي هريرة قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : »ما من مـولـود يـولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهـيـمـة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء؟« ثم يقول أبو هـريـرة : اقــرأوا : ((فِطْرَتَ اللهِ الَـتِي فَـطـَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ)) [الروم:30] ، قالوا يا رسول الله : أفـرأيـت مـن يموت صغيراً؟ قال : »الله أعلم بما كانوا عاملين«.

ما هي الفطرة :

الـفـطـرة هنا هي الإسلام ، فكل مولود يولد مسلماً كما جاء في الصحـيح من رواية الأعمش (على الـمـلة)(1) ، وكما ثبت في صحيح مسلم عن عياض بن حمار عن النبي -صلى الـلـه عليه وسلم- فـيـمـا يـرويـه عـن ربه أنه قال : »خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين، وحرّمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل سلطاناً... ، وفي رواية حنفاء مسلمين ، والحنيف في لغة العرب المستقيم المخلص.

وكـذلك حديـث "خمس على الفطرة.." "أي فطرة الإسلام ، وقوله سبحانه : ((الَتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا)) فـهـذا يـعـم جمـيـع الـنـاس كما أن إضافة الفطرة إليه سبحانه هي إضافة تشريف ومدح كقوله : ناقة الله ، أو قــول الرسول -صلى الله عليه وسلم- عن خالد ابن الوليد (سيف الله) والذي يمدح هو الإسلام.

ومن معاني الفطرة ذلك الإقرار بالرب نتيجة الميثاق الذي أخذه من ذرية آدم. قال تعالى : ((وإذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى)) [الأعراف:172].

فهـذا يعني أن الخلق مجبولون على المعرفة بالله، فـهـو شـيء يجـدونـه فـي أنفـسـهـم لا يستـطـيعون له دفعاً ، وإذا أصابتهم ضراء ، دعوا الله ورفعوا إليه أكفهم. فمن أين جاءهم هذا الـتـوجـه إلـى الخالق وأنه هو الذي يستطيع رفع الضر ، إنها الفطرة المركوزة فيهم ،

ولولا أن في النفس قابلية لمعرفة الله ومحبته والذل له لما استطاع التعليم والتذكير أن يؤثر فيها ، فقوة المحبة لا تأتي من الخارج ، وإنما هي شيء في الداخل.

ولما دعا الرسل أقوامهم إلى عبادة الله دعوهم إلى من يعرفونه ولم ينكر دعوتهم أحد ويقول : وما رب العالـمـين؟ وأما إنكار فرعون فهو إنكار العارف كما قال تعالى : ((وجَحَدُوا بِهَا واسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسـُهُـمْ ظُـلْـمـاً وعُلُواً)) [النمل: 14] وكما قال له موسى عليه السلام : ((لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاءِ إلاَّ رَبُّ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ بَصَائِرَ)) [الإسراء:102].

ويرشدنا الرسول -صلى الله علـيـه وسلـم- إلى أن تغيير هذه الفطرة يقع بتأثير الوالدين أو تأثير البيئة. ولذلك شبه المولود بالبهيمة الجمعاء التي تولد سليمة مجتمعة الخلق لا تغيير فيها ولا تشويه ، ولكن الناس يغيرون خلقها بعدئذ فيشقون آذانها أو غير ذلك ، فالفطرة لو تركت دون تأثير خارجي ، سواء من الوالدين أو غيرهم ، وأزيحـت عنها الـعـوائق من الشبهات والشهوات فهي مقتضية بذاتها لدين الإسلام.

قال ابن عبد البر : وقد سئل ابن شهاب عن رجل عليه رقبة مؤمنة أيجزئ الصـبـي عـنه أن يعتقه وهو رضيع؟ قال : نعم لأنه ولد على الفطرة. وقول الإمـام أحـمـد في سـبـي أهـل الحرب أنهم مسلمون إذا كانوا صغاراً وسبوا ولم يكن معهم الأبوين.

وليس معنى أنه يولد مسلماً أنـه يـعلـم الصلاة والـصـيام وأمـور الإسلام ، بل هذه يتعلمها بعدئذ ، قال تعالى : ((واللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً)) [النحل:78] ، ولكن مـعـنـاه أنه لـو تـرك عن الـتـأثـيـر لكان مـسلـماً واتجه إلى الله، ثم يأت دور التعليم والإرشاد وإقامة الحجة ، وإقامة الـعـذر ببعـثـة الرسل التي تكمل الفطرة ، فلابد من نور النبوة مع الفطرة السليمة.

كما أن الفطر تختلف فبعضها يحتاج إلى تـعلـيم أكثر وتحضيض وتذكير ، ولكن القابلية موجودة.

الكفر طارئ :

إذا كانت الفطرة تقتضي الإسلام ، فهذا يعني طروء الكفر وأنه ليس هـو الأصل في النفس البشرية ، وقوله تعالى : ((لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ)) أي لا تبديل لدين الله. وهو معنى ((كان كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ ومُنذِرِينَ وأَنزَلَ مـعَـهُـمُ الكِـتـَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ...)) الآية.

أخرج ابن كثير في تفسير هذه الآية قوله قتادة : ((كَانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً)) ، قال : كانوا على الهدى جميعاً ثم اختلفوا (2).

وأما ما جاء في سورة الكهف في قصة موسى -عليه السلام- والـرجل الـصالـح الـذي قـتـل الغلام، فلا يعني هذا أن كفر هذا الغلام كان موجوداً حين الولادة، لذلك جاء في الحديث الصحيح : »أن الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافراً ، ولو بلغ لأرهق أبويه طغياناً وكفراً« فقوله : طبع أي طبع في الكتاب ، أى قُدّر وقضي فهو مـولـود على الفطرة السلـيمـة ولكن يتغير بعدئذ فيكفر ، كما أن البهيمـة التي ولـدت جمعاء وقد سـبـق في علمه سبحانه أنها تجدع كتب أنها مجدوعة ، بجدع يحدث لها بعد الولادة.

وقد قتل الصحابة في سرية من السرايا أولاد المـشـركين فأنكر عليهم رسول الله -صلى الله علـيه وسلم- ذلك ، فقالوا : أليسوا أولاد المـشـركـيـن ، فـقـال : ألـيـس خـيـاركـم أولاد المـشـركين؟ ثم قام فيهم خطيباً فقال : »ألا إن كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه« ، فهذا يبين أن الكفر طرأ بعد ذلك.

كـمـا أن قوله -صلى الله عليه وسلم- في هذا الحديث : فـأبـواه يهودانه... فلا يـعـني أن نفس الأبوين خلقا تهوده وتنصره ، بل هو تهود وتنصر باختياره ولكن الأبوين كانا سبـبـاً في ذلك بالتعلم والتلقين والتربية ، وهو بقدر الله أيضاً.

شبهات وردها :

1- قد يقال أن الفطرة هنا معناها السلامة وذلك بأن يكون قلبه صفحة بيضاء قابلاً للإيمان أو قابلاً للكفر ، أو كاللوح الذي يقبل أي كتابة. وهذا القول قـول فـاسـد لأن الذي يـكـون قابلاً للمدح والذم لا يستحق مدحاً كقوله تعالى : ((فِطْرَتَ اللهِ الـَتِـي فَـطـَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا)) وكان ينبغي أن يقال : فأبواه يهودانه أو ينصرانه... أو يسلّمانه ، وعلى هـذا الـفرض فلا يكون في القلب سلامة ولا عطب، ولا استقامة ولا زيع، كالورق قبل أن يكتب فيه القرآن ، أو يكتب فيه كفر بالله ، أو كالتراب قبل أن يبني مسجداً أو كنيسة فهذا لا يستحق مدحاً ولا ذماً.

وأهل البدع يقولون : لم يولد أحد على الإسلام ، ولا جـعـل الله أحـداً مـسلماً ولا كافراً ، ولكن الله سبحانه وتعالى أعطاهـمـا قدرة تصلح للإيمان والكفر. فهذا أحدث لـنفـسـه الكفر وهذا أحدث لنفسه الإسلام ، وأن الله لم يخـتـص المـؤمن بتوفـيـق الهداية ، وهذا مخالف للحديث ومخالف لعقيدة أهل السنة.

2- وقد يقال : إن الفطرة السليمة لو تركت لاختارت المعرفة بـدل الإنكار ، والإيمان على الكفر ، كما أن في الجسم السليم قوة يحب بها الأغذية النافـعة ، فـهـذا إن كان يعني أنه لابد من تعلم بواسطة الأدلة ، وأنه إن لم توجد هذه الأدلة فإن الفطرة لا تستطيع الإيمان. فالرد عليه أن الفطرة مُدحت لذاتها وأنها إذا سلمت من الـشـبـهات والشهوات فهي تـقـر بالخلق ، وإن كان

مقصوده أن في الفطرة قوة تغلب الدين الحق على غيره ولكنها بحاجة إلى التنبيه والتذكير فهذا صحيح مع العلم أن المعرفة وحدها لا تكفي ، بل لابد من عبادة الله بالمحبة له والذل له.

3- عندما نقول أن أولاد الكفار على الفطرة فهذا لا ينافي أن يكونوا تبعاً لآبائهم في أحكام الدنيا ، مثل حضانة آبائهم لهم وتمكين آبائهم من تعليمهم وتأديبهم ، فالرسول -صلى الله عليه وسلم- إنما أراد الإخبار بالحقيقة التي خلقوا عليها ولم يرد به الإخبار بأحكام الدنيا ، فقد يكون في بلاد الكفر من هو مؤمن في الباطن ويكتم إيمانه والمسلمون لا يعلمون حاله ، فهو عندهم كافر في ظاهر الأمر فلو فتحوا هذه البلاد جهاداً في سبيل الله فربما قتلوه على أساس أنه مشرك ، والطفل يولد على الفطرة ، ولكنه لو أسر مع والديه الكافرين فسيبقى معهم.

نزعة التدين وأصالتها :

ما إن أطل القرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديان حتى امتلأت أوربا غروراً بالعلم المادي الذي اخترعته وانتفش الكفر وعبد هذا الصنم الجديد من دون الله ، وقالوا ان العلم ينافي التدين، واستثمر الماكرون هذه المقولة لإبعاد الدين عن الحياة، ثم ظهرت بعدئذ الدراسات الاجتماعية وتوسعت وتعمقت في موضوع طبائع الشعوب وعاداتها ، وظهر علم مقارنة الأديان وتبين أن نزعة التدين لا يخلو منها شعب في القديم والحديث ، وعند أشد القبائل وحشية وتأخراً ، وعند أشد الأمم تمدناً ، ورقياً مادياً.

يقول معجم (لاروس للقرن العشرين) : "إن الاهتمام بالمعنى الإلهي هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية ، والغريزة الدينية لا تختفي بل لا تضعف ولا تذبل إلا في فترات الإسراف في الحضارة ، وعند عدد قليل جداً من الأفراد ، (3).

ويقول شاشاوان:"مهما يكن تقدمنا العجيب في العصر الحاضر، فإن عقلنا في أوقات السكون والهدوء (عظاماً كنا أو متواضعين ، خياراً كنا أو أشراراً) يعود عقلنا الى التأمل في هذه المسائل الأزلية : لم ، وكيف كان وجودنا ووجود هذا العالم؟" (4).

ويقول الشيخ محمد عبد الله دراز -رحمه الله- : »ما هذه إذاً تلك القوة التي لا تزيدها المقاومة إلا عنفاً واشتعالاً أليست هي قوة الفطرة التي تورق وتثمر كلما عاودها الربيع فبلّل ثراها وسقى أصولها؟ بلى! وإن هذا قد تكفي منه قطرة ، وربما يتبلور في نظرة ، فما هي إلا طرفة من تأمل الفكر أو لحظة من يقظة الوجدان ، أو أزمة من صدمات العزم فإذا أنت مع عالم الغيب الذي منه خرجت أو في عالم الغيب الذي إليه تصير«(5).

وقد عبّر ديكارت في تأملاته عن هذه الفطرة : "إن مفتاح هذه العقيدة (وجود الله) موجود في نفسه ، (في نفس الإنسان) كلما شعر بالفرق بين الشك

واليقيـن أو بـيـن الجهل والعلم ، وكلما قرأ في لوحة نقصه عنوان (الكمال) الذي ليس له ، فـالـكمال هو أسـبـق في العقل من فكرة (النقص) فإن من لا يعرف الشيء لا يتفقده ولا يحـس بحرمانه حين يفقده ، إذ كيف أعرف أنني ناقص لو لم تكن عندى فكرة كائن أكمل مـني أجعـلـه مـقـيـاسـاً ، أعـرف بـه مواضع نقصي، فالـرغـبـة في الكمـال وحدها دلـيـل أسبقية وجود هدفها في التصور العقلي وليست هذه الفكرة اختراعاً وفرضاً خيالياً بل هي ضرورة تـفـرض نفسها على عقلي ، فلا بد أن تكون ذات خارجية هي مادة الكمال المطلق ومصدره وهي المثل الأعلى" (6).

دروس في الدعوة :

هذا الحديث النبوي أصل من أصول الدعوة الى الله ، فعندما نخاطب الناس بأن معبودهم هو الله -سبحانه وتعالى- وليس أحداً غيره فإنما نخاطب شيئاً مركوزاً في النفس الإنسانية وإذا أزيح ما علق بها من شوائب الشبهات والشهوات رجعت إلى فطرة سليمة.

والذين يتعبون أنفسهم كثيراً في إثبات وجود الله وأنه هو الخالق لهذا الكون ، ويـثـبـتـون ذلك بالأدلة العلمية أو المنطقية، إلى هؤلاء نقول : هونوا على أنفسكم فليست المشكلة بيننا وبين الناس أنهم ملحدون لا يؤمـنـون بوجود الله بل المشكلة الحقيقية هي أنهم لا يريدون الخضوع بالعبادة لهذا الإله فهم مـتـبعـون لشهوتهم وعاداتهم أو لكـبـريـائـهم وتجبرهم في الأرض أو أن الشبهات التي سمعوها عن الإسلام تبعدهم عن الاستجابة ، والذين يظهرون الشك أصلاً والإلحاد بوجود الله هم فئة قليلة على مدار التاريخ والشيوعية المعاصرة والتي هي أزمة من أزمات الحضارة الغربية لم تستطع الاستمرار في معقلها لأنها تصادم الفطرة ، وهاهي تتنازل عن مبادئها سنة بعد سنة ولم يستطع إرهاب السنوات الـسـابـقـة أن يقـتـلع جذور التدين عند الشعوب التي أخضعها الروس لحكمهم.

وحتى إذا أردنا إقناع هذا الشيوعي الملحد بوجود الله بأدلة علمية ومنطقية، فهل نضحي بالمنهج في سبيل هذه القضية وتتحول الكتابة والدروس والمحاضـرات لإثـبـات وجـود الله بينما كان الأصل هو إزالة ماران على قلوب الناس من زيغ وتذكـيـرهم بالله الذي يعـرفونه وأنه هو الذي يستحق الطاعة والمحبة والعبادة ، وكل خضوع لغيره فإنـمـا هو الـدمـار ولا نـريـد أن نعلمه شـيـئـاً هو يمـلكه، ولكن يجب أن نعلمه الإيمان الذي يـتـحـول إلى طـاقـة إيجابية.

والـرسـل دعت الأمم إلى عبادة الله الذي يعرفونه ولذلك قالوا لهم : ((أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ)) فهذه بديهية لا أحد يشك فيها.

إن الحديث عن آيات الله في الآفاق والأنفس حديث مهم ، والقرآن دعا إلى التفكر في خلق الله وأمره ، مما يدعو إلى زيادة الإيمان واكتشاف سنن الله

في خلقه وسنن الله في التغـيـيـر وقـد يـأتـي بعض الناس إلى الإسلام عن هذا الطـريـق، ولكن هذا كله وسـيـلـة إلى الـغـايـة الأساسية ، وهي خضوع الناس لشرع الله وأن تكون عبادتهم خالصة له.

والأولى أن تـتـجه الدعوة إلى المسلمين الذين هم في بعد عن الدين الذي أنزله الله وفي جهل بحدود وشرائع الإسلام ، وذلك قبل أن تتجه إلى فئة قليلة من الملحدين المستهزئين الذين يشغلون المسلمين بجدل عقيم وغالبهم لا يقصدون الوصول إلى الحق ، والرسول -صلى الله عليه وسلم- هو سيد الدعاة وهو الذي يجب أن نقتبس من نور نبوته.

الهوامش :

1- ابن تيميه : درء تعارض العقل والنقل ، طـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وهذا الجزء هو المصدر الأساسي لشرح هذا الحديث وكذلك كتاب الدين للشيخ محمد عبد الله دراز -رحمه الله- .

2- تفسير ابن كثير 1/250 .

3- محمد عبد الله دراز : الدين /84 .

4- المصدر السابق : /84 .

5- محمد عبد الله دراز :الدين /97 .

6- المصدر السابق /151 .

التعليم : الواقع والطموح (*)

جاسر عبد الله الجاسر

تمهيد :

عندما نقول بأن فلاناً مـتـعـلـم فـهـذا يعـنـي أنه يملك استعداداً أولياً لأن يكون مثقفاً وهو بالضرورة على درجة من الوعي مرتبط بمسـتـواه الـتـعـلـيمي ، وبالتالي فهو إنسان إيجابي ومثمر لأنه قادر على توظيف المعطيات الأولية بشكل بنّـاء ولخير الصالح العام.

كل هذه أشياء يفترض توافرها في الشخص المتعلم لأن التعليم يهـدف للـتـغـيـيـر الإيجـابي وبـصـورة أشمــل فهو يهدف لتهيئة الإنسان فكرياً أي أن يتعلم الإنسان كيف يفكر بشكل منهجي.

من ذلك نجد أن الـتـعـليم يتعامل مع عقل الإنسان باعتباره عدة عوامل مترابطة ، بحيث تكون الذاكرة مدخلاً أولـيــاً لحفظ وتخزين لأساسيات الضرورية للتفكير ثم يهدأ بعد ذلك إكمال البناء الفكري عن طريـق الملاحظة والربط والاستنتاج والمقارنة.

ولكن التعليم العربي ينطلق مـن اتجـاه معاكس تماماً فهو يتعامل مع الذاكرة فقط باعتبارها إمكانية إيجابية وحيدة في ذهن الإنـسان ، ولذلك كان الحفظ

الكامل لأرتال من المعلومات المعلبة هو هدف التعليم العربي ، وكـلـمـا كـان الـطـالب أكثر استعداداً للحفظ كان في نظر المشرفين أكثر ذكاءً وألمعية ، من هنا ابتدأ الخطأ.

خطوة أولى :

يقول العرب "العلم في الصغير كالنقش في الحجر" وهـذا الـمـثـل يوضح بأبرز صورة نمطية التفكير التعليمي لدينا ، فالعلم يقصد به الحفظ ، ومنذ ذلك الحين ، والمتعلمون سامحهم الله يحشون رؤوس صغارنا بكم هائل من المعلومات المتناثرة فيصبحون كالببغاوات ، وما إن يسأل أحدهم عن معلومة ما حتى ينطلق سارداً إياها لا يغادر صـغـيـرة أو كـبـيـرة ، ويفرح الأهل بذلك أشد الفرح ، بينما الطفل المسكين لا يفهم شيئاً مما قال.

يجمع علماء النفس التربوي على أن ذكاء الطفل حتى الثامنة تقريباً هو ذكاء حركي وليس تـجـريدي ، بمعنى أن الطفل يعرف الأشياء من خلال احتكاكه المباشر بها ، ولذلك ركـز التربـويـون عـلـى اسـتـخـدام اللـعـب كمـدخل تعليمي للأطفال في هذه السن ، بينها يصر التربويون العرب على أن يحبسوا الطفل في قاعة خاصة لمدة تزيد عن خمس ساعات ، وهو يجتر المعلومة تلو المعلومة ، ورأسه الصغير يكاد ينفجر ضيقاً وقرفاً وخوفاً ، فما أن يطلقوا سراحه حتى ينطلق لممارسة أنواع سطحية ساذجة من اللعب العابث الذي لا ينمي موهبة ولا يرسخ سلوكاً ولا يثمر إلا ضياعاً وجهلاً لا يفوقه إلا جهل المدرسة.

خطوة ثانية :

يجمع التربويون على ضرورة أن يكون معلم الـطـفــل مـتـخـصـصاً في هذا المجال ، دارساً لنفسية الطفل ، مدركاً للفروقات الفردية ، والأهم من ذلك كله أن يـكــون مخلصاً في عمله متحمساً له ، مؤمناً بأنه يؤدى عملاً جليلاً ، وواجباً خطيراً .

ولكن وزارات التربية العربية لا تؤمن بشيء من هذا ، وهي ترى بأن الطـفــل يسـتـطـيـع تعليمه من يعرف مبادئ القراءة والكتابة ، ولذلك توكل عملية تعليمه لأقل مدرسيها كفاءة ومستوى وربما أقل مدرسيها اهتماماً بالطفل ، فيكون الطفل ضحية من ناحيتين.

والـخـطـورة تـكـمــن في أن مرحلة التعليم الأولية تشكل التكوين الفكرى الأساسي للطفل ، بحيث تصبح المراحل اللاحقة مجرد إبراز الجوانب الخفية في هذا التكوين.

فإذا لم يكن المعلم مـدركــاً لهذا الجانب ، ولم تكن المناهج قادرة على ربط الطفل بعقيدته بشكل صحيح ومدروس فإن النتيجة النهائية ستكون الفشل لأننا أخطأنا في تحديد نقطة البداية وبالتالي فإننا كلما تقدمنا خطوة ، سنوغل في الخطأ أكثر وهكذا فإننا لن نصل أبداً .

خطوة ثالثة :

يعاني معظم الطلبة العرب من عدم التوافق الدراسي ، وهذا يعني بأنهم يشعرون بأن الدراسة عبء مرهق يفرحون سريعاً بالتخلص منه ، وهم يقضون نصف دراستهم في التحسر على إجازات انتهت ونصفها الآخر في انتظار إجازات قادمة ، وهذا يعني منطقياً أن استيعابهم محدود وتركيزهم شبه معدوم ، ولذلك تتبخر معلوماتهم بعد الامتحانات مباشرة ، فينسون كل ماله علاقة بالدراسة وهكذا ينتهي كل شيء ، وهذا يعني وجود خلل خطير في المناهج وفي طريقة التدريس إذ أنه من المفروض أن يحب الطالب المدرسة ، وأن يستمتع بالدراسة كما يستمتع بأية هواية أخرى يحبها ويقضي ساعات طويلة في ممارستها.

ومن نتائج عدم التوافق الدراسي ضعف المستوى العلمي حتى على مستوى خريجي الجامعات ، ومما يؤكد انعدام فاعلية التعليم لدينا هو اقتران هذا الضعف العلمي بضعف سلوكي وأخلاقي ، وهذا يعني أن ما يقارب ستة عشر عاماً من التعليم لم تجد فتيلاً ، وهو أمر يستحيل قبوله من الناحية المنطقية ، فالله سبحانه وتعالى ميز الإنسان بالعقل وجعله حجة عليه وحثه على التفكير والتأمل والتدبر ، فإذا كان الأمر كذلك فإن التعليم العربي يخدر العقل باستمرار ، ولو ترك الإنسان على فطرته دون تعليم لوجدنا فيه خيراً كثيراً ، لأن العقل البشري بطبيعته تركيبي فهو يبحث ويسأل ويقارن ويحلل ولا يمكن أن يتخلى عن هذا الدور ما لم يكن يعاني من عجز خَلْقي أو تثبيط موجه.

خاتمة :

يبدو لي أن علينا أن نعيد حساباتنا بخصوص التعليم وأن نستفيد من الناحية الهيكلية من تجارب الآخرين بدلاً من أن نظل نتخبط في محاولات الصح والخطأ.

وللخروج من هذا المأزق الحرج يجب على العالم العربي أن يكون على قدر من الشجاعة والمسئولية وأن يعترف بأخطائه في هذا المجال ، ومن ثم تبدأ إعادة البناء بشكل كامل وصحيح :

1- الاهتمام بالطفل تربوياً وسلوكياً ونفسياً واجتماعياً ، فهم نواة المستقبل ومسئولية الأمة حتى ينضجوا.

2- الاهتمام الجدي والمدروس بتعليم الطفل وتعديل المناهج لتكون ملائمة لعقلية الطفل.

3- إعادة وضع المناهج التعليمية ، بحيث تكون حافزاً على التفكير وليست مجرد معلومات جاهزة تؤخذ كما هي.

4- تقليل عدد الطلاب في الفصول.

5- التركيز على جلسات الحوار والمناقشة الودية بين الأستاذ وتلاميذه.

6- تشجيع الابتكارات.
7- قيام علاقة ودية بين الأستاذ وطلابه.
8- الابتعاد عن التلقين في كافة مراحل التعليم.
9- التركيز على بناء الشخصية وتدعيم استقلالية الطالب.
10- الاهتمام بالبحوث التربوية والإكثار منها.
11- وضع الرجل المناسب في المكان المناسب.
12- مراعاة أن تكون المناهج تساعد في صقل شخصية الفرد المسلم وأن تعمق ارتباطه بعقيلته بشكل واعٍ وصحيح.
13- عدم التسرع في النواحي التربويةٍ فالخطأ فيها قد يقضي على أجيال كاملة.
14- تأهيل المشرفين والترحيب بالمخلصين والمتحمسين لأنهم هم الذين يدفعون بصدق حركة التعليم للأمم.
15- العمل على تحسين المكانة الاجتماعية للمعلمين وليس هذا الأمر بعسير.

الهوامش:

*- مساهمة وصلتنا استجابة لدعوة المجلة لفتح ملف التعليم في البلاد العربية ، ولازالت الدعوة لأهل الاختصاص والمهتمين بذلك قائمة.

خواطر في الدعوة

أين دور العمل؟

مرت بالمسلمين فترات ضعف فيها العلم ، وخاض الناس في أمور العقيدة أو الحدث أو الفقه أو الدعوة دون دليل صحيح معتبر ، وتكلموا في أخطر قضايا المسلمين بكلامٍ إنشائي مرصوف ، واستشهدوا بالأحاديث الضعيفة والموضوعة أحياناً ، وُيتنبه لهذا النقص والخلل ، ويبدأ التركيز على المصادر الإسلامية الأساسية والنهل من ينبوعها واعتبار الصحة والدليل ، وتوثيق النصوص ، حتى يقوم البناء على أساس متين ، وهذا شيء لا غبار عليه بل هو مطلوب وضروري ، ولكن كثيراً من الناس لا يستطيعون الاستمرار على طريق الاعتدال والوسطية فيغالون أو يقصرون في أي أمر يعرض عليهم ، فإذا رزقوا العالم الفطن ردهم إلى الطريق السوي.

فالعلم لابد منه ولا يقوم بنيان على الجهل ، ولكن أن يتحول كل الشباب المسلم المخلص إلى مفتين ، ونرى الطبيب والمهندس ومدرس العلوم أو الرياضيات أو مدرس الأدب واللغة لا يتعمقون في دراساتهم ولا ينفعون المسلمين باختصاصهم ، إلا في العموميات ، وتجد في مكتبة الطبيب كل كتب التراث ، ولا تجد المصادر الأساسية في مهنته ، فهذا وضع غير طبيعي وخلل في فهم الأمور.

فهناك علماء متخصصون يستطيع هذا الأخ سؤالهم إذا استغلق عليه أمر أو أعيته مسألة. هكذا كان عمر -رضي الله- عـنـه يفـعـل إذا طرأت عليه مسألة جديدة ، يجمع الصحابة ويشاورهم ولا يتهيأ مسبقاً بحفظ المتون وافتراض المشكلات والحلول. وهذا إمام دار الهجرة مالك بن أنس يقول: أدركت هذا البلد (المدينة) وما عندهم علم غير الكتاب والسنة ، فإذا نزلت نازلة جمع الأمير لها من حضر من العلماء ، فما اتفقوا عليه أنفذوه ، وأنتم تكثرون من المسائل وقد كرهها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- .
وكبار الصحابة لم يكونوا من مكثري الروايات فقد روى أبو عبيدة ابن الجراح أربعة عـشر حديثاً ، وسلمان الفارسي ستين حـديـثـاً ، ومعاذ ابن جبل مئة وسبعة وخمسين حديـثاً ، وغالبهم لا يروي إلا مئتين حديث أو ثلاث مئة حديث ، وفي الصحيحين والسنن الثلاث والموطأ ثمانية وستين حديثاً في الحث على الجهاد. (العواصم والقواصم 2/ 488).
والصحابة -رضي الله عنهم- والتابعون كانت عنايتهم بالجهاد والأمر بالمعروف والـنهـي عن المنكر وقيام الليل ، وتفقد مصالح المسلمين ، ولا شك أن ذلك بعد تحصيل العلم الذي لابد منه ، ولم يطلب القرآن العلم الزائد على الكفاية كما طلب وحث على العـمل ومـدح الخاشعين في الصلاة المعرضين عن اللغو والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس.
وإذا كان هذا منهج السلف وهم متفرغون للعلم بما فتح الله عليهم من الدنيا ، فكيف بنا الآن ونحن نساس بـغيـرنا ، ويقـرر أمرنا غيرنا ، ونحتاج لأعداء الإسلام في كل صغـيـرة وكبيرة من أمور دنيانا ، والمهام الملقاة على عاتقنا كثيرة وحال المسلمين العلمية الآن أفضل مما كانت عليه قبل قرن ؛ فلم يبق إلا المزيد من العمل والتطبيق.
ولا يخطرن ببال أحد أننا نقلل من أهمية العلم الشرعي أو نضعف من شأنه ، ولكننا ندعو إلى العمل بعد الـعلم ، كما لا يعني هذا أن نحجر على أحد في طلب العلم الشرعي والتزود منه ، بل لابـد منه وخاصة لمن يـتصـدى للدعوة إلى الله والذي يجمع بين تخصصه والعلم فهذا خـيـر على خير، ولكن الغالب أنه لا يستطيع التمكن من الاثـنـيـن، فهذا نـنـصـحـه بالتزود من العلم المطلوب لمـثـل حاله وأن يفـيـد المسلمين في اختصاصه ونحن نعلم أن هناك علوماً شرعية لابد منها لكل مسلم خاصة المـتـعلمين منهم حتى يدعو إلى الله على بصيرة ، ولا بد من اتقانها ، بعضها مجملاً ، وبعضها تفصيلاً ، وما خفي عنه فشفاء العّي السؤال.

دراسات منهجية في النظر والاستدلال

أهمية أصول المعرفة في الإسلام
- 1 -

د. عابد السفياني

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وبعد :

فـإن لكل قـوم نظـرية مـعـرفية يتخذونها طريقاً للوصول إلى ما يجب عليهم اعتقاده والعمل به، سواء أدركوها إدراكـاً كـاملاً وكتبوها ونـشـروهـا للـنـاس، أم احتـسـبـُت في أذهـانـهم وتصرفوا بموجبها ، ولنضرب بعض الأمثلة التي تبين المقصود :

إن من أصول "العلمانية"(1) أن الحياة العامة في الدولة والمجتمع لاتحكم بأحكام الشريعة الإسلامية ، وإنما تحكم بأي نظام آخر من الشرائع التي يضعها الإنسان بنفسه ، وتـرتـب عندهم على تقديم "القوانين الوضعية" على "الشريعة الإسلامية" أن اعتقدوا أن الحكم بما أنزل الله فيما يخص هذه الأمور ليس واجباً ، وزينوا عقيدتهم المنحرفة بثلاث شبه :

الأولى : أن الدين الواجب الـتـزامـه إنمـا هـو النطــق بالشهـادتـيـن وأداء الشعائر ، وهذا مخصوص بقيد آخر معروف في القوانين الوضعية ألا وهو : جعل هذا الإلزام على الاختيار إن صح التعبير ومعنى ذلك أن من أراد أن يلتزم بذلك فله ما أراد ، ومن لم يرد فلا حـرج عليه ، فإن "القانون" لا يعاقب على جريمة الردة ، فآل الأمر فـي الـنـهـايـة إلى أن الدين الواجب التزامه هو ما اختاره الإنسان من الملل المتعددة ، حتى وإن كان كفراً بعد إسلام ، وليس عليه من شرط إلا الالتزام بالقانون الوضعي الذي تعمل به الدولة التي يعيش فيها.

فإن كان من أهل الإسلام فحكمه في القانون الوضعي أن يتصرف في أموره الخاصـة حـسـب أحكـام دينه أي الشريعة الإسلامية ، أما في الأمور العامة فلا يحق له الخروج عن أحكام القانون الوضعي المعمول به في الدولة التي يعيش فيها.

الثانية: يـسـلـم بـعـض "العلمـانيين" محافظة على شعور المسلمين بأن ما ورد في الـشريـعـة الإسلامية ملزم جملةً وتفصيلاً للدولة والمجتمع إلا أنهم ينكصون على أعقابهم فيقـولـون : إن ما ورد فيها حق وصدق وملزم ، ويجب التحاكم إليه ، ولكن ليس ملزماً لنا وإنـمـا هـو ملزم لمن نزل عليهم القرآن أول مرة ، أما أوضاعنا المعاصرة فتحكم بمطلق المصلحة ، وليس منها بالطبع شيء من أحكام الشـريـعــة ، اللهـم إلا ما سبقت الإشارة إليه وهي الأحـكـام الخاصة ، أو ما تسمى في مصطلح القانون الوضعي "الأحوال الشخصية".

الثالثة : يعتقد بعض العلمانيين إمكان تغيير الشريعة الإسلامية وتطويرها لتصبح في نهاية الأمر هي "القوانين الوضعية" ويزعمون أن ذلك ممكن جداً ، لأن أحكام القانون تسعون في المئة منها موافقة للشريعة الإسلامية ، ويمكن تطويع ما بقي بعد ذلك.

وهذه الشبه أثارها الاستشراق أولاً ، ثم وزعها في العالم الإسلامي ، وتلقفها "العلمانيون" فيه، وخدعوا بها كثيراً من المسلمين، وتبناها كتاب كثيرون في الدراسات الإسلامية (2) ، وهذه الشبه كما ترى انتجت ذلك الأصل الـفـاسـد ، وأصبح طريـقـاً غير موثوق به ، لأنه استبعد الشريعة الإسلامية ، ورفض حاكميتها في المرحلة الحالية التي تعـيـشها البشرية ، وهذا قدر مشترك بين العلمانيين في أوربا والعلمانـيـيـن في العالم الإسلامي ، ويتفاوتون بعد ذلك في أمور أخرى ، ونستطيع أن نكشف عن هــذا الـقــدر المشترك ، ونتبينه إذا تابعنا سوياً بعض جوانب الشريعة الإسلامية وموقف العلمانيين منها :

أولاً النظام الجنائي :

ويشمل الحدود والقصاص والتعازير... فإن موقف العلمانـيـين -التزاماً بأصلهم في المعرفة- أن لا يُسمع في هذا من الشريعة الإسلامية شيء ، فضلاً عن أن يعـمـل به ، فالأمور العامة -كما يقول أصلهم في المعرفة- يحكمها كل نظام بشرط أن لا يكون إسلامياً ، ولا بأس على الدول العلمانية أن تحتكم إلى الـقـانون الفرنسي أو الألماني أو الإيطـالـي أو الـبـريطاني أو الأمريكي... ولا بأس في الاخـتلاف في عملية الاختيار في مثل هذا مادام أن العـلـمـانـيـين متفقون على إبعاد الشريعة الإسلامية عن هذا الجانب ، ولكل دولة بعد ذلك أن تخـتــار أيضاً من دركات الانحراف عن الفطرة السوية ما تريد(3).

ثانياً النظام الاقتصادي :

ومعلوم موقف "القوانين الوضعية" من الربا فإنها اجتمعت على تحليله ونشره بكل طريق ، ويحسن بنا أن نربط بين العلمانيين في أوربا والعلمانيين في العالم الإسلامي ، فنقول : إن الربا كان محرماً في الدين النصراني ، وقد تحايل اليهود على تحليله ونشره بين النصارى رغبة منهم في إبعاد النصارى عن بعض ما كانوا مستمسكين به من شرائع سماوية.

ولقد ثبت في الشريعة الإسلامية أن "الربا" كان محرماً على أتباع الأنبياء -عليهم السلام- ومنهم أتباع عيسى -عليه السلام- ، فـالـحـرمـة إذاً ثابـتـة للـربا في جميع الشرائع التي أرسل بها رسله جميعاً ، ولكن "العلمانيين" في كل مكان رفضوا الاحتكام إلى هذه الشرائع (4)، وإن مما ساعد على تحليل الربا ونشره في أوربا موقف الكنيسة المنحرف عن الدين، وعدم وجود "البديل" الذي يمكن أن تسير الحياة العلمية على أساسه.

أما في العالم الإسلامي فإن البديل هو منهج الاقتصاد الإسلامي ، وهـو موجود فعلاً ، بـل هو الأصل التي كانت تحتكم إليه المجتمعات الإسلامية طـيـلـة

أربـعة عشر قرناً ، ولـكن اجتماع العلمانيين في كل مكان على نصرة "القوانين الوضعية" ، وعلى تصديـر أصلـهـم في المعرفة وتعاونهم على ذلك جعل هذه الشعارات تستقر في العالم الإسلامي ومنها : "أعط ما لقـيصر لقـيصر وما لله لله"، ولا دين في السياسة ولا سياسة في الدين(5).
ومقـتـضـى هذا الأصل المـعرفي المنحرف أن الأحكام في الأمور العامة هي شريعة قيصر أي القوانين الوضعية ، وليست هي الشريعة الإسلامية ، هذا هو أصل العلمانيين الذي يسعون إلى التمكين له قولاً وعملاً .

ثالثاً النظام الأخلاقي :

إن ثورة العلمانيين في أوربا وفي العالم الإسلامي على النظام الأخلاقي متشابهة جداً .
فـلـقـد قال العلمانـيـون في أوربا ما للأخلاق والدين، ونادوا بإخراج المرأة عارية الساقيـن، حاسرة الرأس، وأن تتخذ الأصدقاء، وترقص في المسارح، وإذا قلت لهم إن الدين لا يقـبل ذلـك، قـــالـــوا: أعـط ما لقـيصر لقـيصر ومـا لله لله، أصـل مـعـرفي يتـحـجـون بـه عـنـد الخـصـومة والـنـزاع.
وكـذلـك الـعـلـمـانـيـون في الـعـالـم الإسـلامـي ما زالوا ينادون بذلك، ولا عليهم من النتائج الخطـيرة الـتي تـترتـب على ذلك، من فساد فطرة المرأة، وضياع بيتها، وأطفالها، وتدمير مـجـتـمـعـها بإفـساد الـنـوع الإنـسـاني، كل ذلك لا يهمهم، المهم أن تخرج المرأة بدعوى الاستفادة من طاقات المجتمع، وهم أول من يعلم أن المجتمع قد ازدحم بكثير من الشباب الذين لا يجدون عملاً ، ونرى كثيراً من المصلحين يسعون لاستثمار طاقات الشباب المعطلة والاستفادة من أوقاتهم المهدرة ، وتارة يُوفقون في ذلك ، وتارة لا تسعفهم الفرصة لتحقيق هذه الأهداف النبيلة التي يستفد منها الشباب والمجتمع في آن واحد ، أما الذين شُغلوا بقضية المرأة ، فهم لا يتعاطفون مع هؤلاء المصلحين ، وحرصهم على الاستفادة من طاقات المرأة أكثر من حرصهم على الاستفادة من طاقات الشباب ، وهم أول من يعلم أن الشباب هم الذين يتضررون من البطالة ، ويتضرر معهم المجتمع ، أما المرأة فإن المجتمع إذا كان سوياً ومحافظاً على فطرته الإنسانية من وجود زواج، وأسر، وأبناء ، فإن المرأة هي قاعدة الـــبـــنـــاء فيه، ولا نتصور أن تقع في البطالة، ولا يمكن أن نقحمها في تلك الأعمال التي أقحمها فيها "العلمانيون" في أوربا فأفسدوا البـيـت والشارع معًا ، وهكذا يريد إخوانهم في العالم الإسلامي ، أن يسلكوا طريقـهـم ، ويـبـنـوا على أصلهم الفاسد ويدلِّسوا على الناس بأنهم لا يعارضون الدين ، ومن المعلوم أن هؤلاء الـذيـن أصـروا على إخراج المرأة قد فشلت تجربتهم ، ومازال حكماء أوربا يشكون من فـسـاد هذه التجربة (6) ، ولكن العلمانيـين في العالم الإسلامي مازالوا حريصين على بقاء هذه التجربة الفاشلة وانتشارها ، ويصرون على إبعاد "حكم الشريعة الإسلامية" عنها.

وينبغي للبصير أن يتأمل في مواقف المخالفين من قضية المرأة ومن النظام الاقتصادي والنظام الجنائي ، لتنكشف له حقيقة مهمة طالما أراد كثير من المخالفين إخفائها والتستر عليها.
إن "العلمانيـين" في العالم الإسلامي ، كما هو معلوم لا يقـولون إن محمداً -صلى الله علـيه وسلم- ليس بنبي ولا رسول ، ولا يقولون إن القرآن ليس هو كتاب الله ، ولا ينكرون اليوم الآخر ، ولا يرفضون النطق بالشهادتين ، ومنهم من يصلي ويصوم ويحج...
وإذا أردت أن تتحقق من الخلاف بيننا وبينهم فارجع إلى ذلك الأصل المعرفي الذي سبقت الإشارة إليه يـنكـشـف الأمر لك بجلاء ، فـتجـده أنه خلاف على قبول حاكمـية الشريعة الإسلامية في الأمور العامة في الدولة والمجتمع ، واتفاق نسـبـي في قـبـول ما جاءت بـه في الأمور الخاصة " الأحوال الشخصية" ، والصلاة والصيام والحج.
وإذا قيل لهم : كيف جعلتموها مصدراً في هذه الأمور دون تلك ، ولماذا لا يكون أصلكم في المعرفة هو قبول ما جاءت به جملة وتفصيلاً ، أليس الذي جاء بها محمد -عليه الصلاة والسلام- ، والذي أرسله بها هو الله خالق السموات والأرض ، قالوا : بلى !!
وإذا قلت لهم من هو الحكـم العدل ، ومن هو العليم الخبير ، ومن هو الذي في السماء إله وفي الأرض إله؟ فسـيقـولـون : الله ، فقل أفلا تقبلون حكمه في "الـنظـام الجـنائي" ، وفي النظام الاقتصادي ، وفي النظام الأخلاقي.... ، فأنى تؤفكون.
((أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْـتَـغِي حَـكَـمـاً وهـُوَ الَذِي أَنزَلَ إلَيْكُمُ الكِتَابَ مُفَصَّلاً والَّذِينَ آتَـيـْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ)) (7).

الهوامش :

1- العلمانية : نشأ هذا المذهب الذي أطلق عليه هذا الاسم في أوربا وهو "حركة اجتماعية تـهـدف إلى صرف الـنـاس عن الاهـتمام بالآخرة .. باعـتـبارهـا حركة مضادة للـديـن ومضادة للمسيحية" وأقرب ترجمة لها عند الأوربـيـيـن "اللادينـية" . مـذاهب فكرية معاصرة / 445-446 للأستاذ محمد قطب ، دار الشروق 1403 هـ ، وكتاب "العلمانية" رسالة ماجستير للدكتور سفر الحوالي .
2- الاتجاهات الحديثة في الإسلام ، للمستشرق جب / 26-79-122-123 ، الإسلام في التاريخ الحديث للمستشرق ولفرد سميت / 7-7-8 ، القانون المدني الأعمال التحضيرية ، الدكتور أحمد السنهوري 1/20 ، وأسبوع الفقه الإسلامي / 114 الدكتور عبد المنعم الصده ، وقد أورد الدكتور

الأشقر قولهما وناقشهما فراجعه فإنه مفيد ، انظر كتاب "الشريعة الإسلامية لا القوانين الجاهلية" .
3- انظر الاتجاهات الحديثة في الإسلام ، للمستشرق جب / 175 ، فقد قال : إن العالم الإسلامي له حق الاختيار في تحديد طبيعته في الحياة ولكن بعد أن يتابع الفكر الغربي ويخضع للقوانين الوضعية ، وقصده كما هو ظاهر أنه ليس لزاماً على المسلمين أن يتركوا كل ما جاء به الدين الإسلامي ولا بأس بالمحافظة على بعض عاداتهم الإسلامية وطبائعهم الخاصة ، ولكن الذي يطلبه منهم الاستشراق وما يتبعه من المذاهب الحديثة أن يسايروا العالم الغربي من حيث الخضوع للقوانين الوضعية وترك التحاكم للشريعة الإسلامية .
4- الربا وأثره على المجتمع الإنساني ، الدكتور الأشقر / 29- 48 - 67 .
5- العلمانية ، للدكتور سفر الحوالي / 648 - 706 .
6- انظر شهادة الكسس كاريل / 198 .
7- الأنعام / 114 ، وجامع البيان 7 / 70 .

نقد

قراءة في فكر مالك بن نبي
-4-

محمد العبدة

كان تشخيص أمراض العالم الإسلامي عند مالك بن نبي مقدمة للبحث عن العلاج ، أو للبحث عن أسس النهضة ، وكيف تبدأ؟ ومن أين تبدأ؟ إن بلداً مثل اليابان بدأ نهضته في منتصف القرن التاسع عشر (1) وهي نفس الفترة التي بدأ الحديث فيها عن النهضة في العالم الإسلامي ، فلماذا كان هذا البطء في (الإقلاع)؟.
السبب برأى مالك بن نبي هو عدم وجود منهج واضح للإصلاح ولا نظرية محددة للأهداف والوسائل وتخطيط للمراحل. "فإذا حللت جهود المصلح الإسلامي وجدنا فيها حسن النية ، ولكنا لانجد فيها رائحة منهج " (2) "وليس هناك تحليل منهجي للمرض وليس إلا أن عرف المريض مرضه فاشتد في الجري نحو الصيدلي -أي صيدلي- يأخذ من آلاف الزجاجات ليواجه آلاف الآلام"(3) "وواقعنا الآن إما فكرة لا تتحقق أو عمل لا يتصل بجهد فكري"(4).
لا شك أن هذا الكلام حول (المنهج) صحيح ودقيق ، فليس هناك دراسات عميقة وتحليلية لأمراض المسلمين ، وما هي الحلول والمقترحات وما هو المهم والأهم ، وكل الدراسات تأخذ جانباً من الجوانب تركز عليه

والحل الأحادي هو الغالب ، وأعمال كثير من المؤلفين كانت تبريراً ودفاعاً أمــام الهجوم الغربي الاستشراقي على الإسلام (5) ، وليست أعمالاً فيها تخطيط للحاضر والمستقبل ، غابت المؤتمرات التي تخرج بنتائج فعلية واقعية وكثرت تلك التي توصي بوصايا لا تخرج عن دائرة الورق التي كتبت عليه.
والذين كتبوا في أوائل النهضة كتابات جـيـدة مـثل الشيخ رشيد رضا لم يستفد منها كثيراً ولم تـنـقـح ويؤخذ الايجابي مـنـهـا ، ويبنى عليه ، وكذلك الذين جاءوا من بعده لم يكن هناك خطة علمية لدراسة أقوالهـم وآرائهم ، وكأنما كل من يـأتـي يريد البدء من الصفر ، بل نستطيع القول : إن كثيراً من الأخطاء التي وقعت سواء في مجال الدعوة أو غيرها انما كانت بسبب غياب المنهج أو عدم الالتزام بمنهج.
وإذا كنا لا نملك الوضوح من الناحية النظرية فضلاً عن وجود منهج تطبيقي عملي فهذا لا يعني عدم وجود المنهج ، فالقرآن الكريم والسنة أوجدا المناخ المناسب لأن يسـتـنبط العلماء منهج أهل السنة في النظر والاستدلال وطرق الحياة التي يريدها القرآن (6) ، فـعندما يقول سبحانه : ((ولاتَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ)) نجد الصحابة يفهمون هـذا الـتـوجـيه ويلتزمون به ، فأمير المؤمنين عمر بن الخطاب لا يعلم معنى كلمة ((وَاباً)) من آية ((وفَاكِهَةً وأَباً)) فلا يتكلف الجواب ولا يحاول التعالم ، بل يرى أنه من التكلف معـرفـة كل شـيء ، وأبو بكر -رضي الله عنه- يقوم بعمل علمي طبقاً لمنهج ، عندما أعطى تعليمات مشددة لزيد بن ثابت ، الذي كلفه بجمع القرآن ، وكذلك عثمان بن عفان يشكل لجنة لجمع الناس على مصحف واحد (7).
وفـهم الكتاب والسنة هو الذي جعل الإمام مالك والأوزاعي وأمـثـالـهـمـا يكرهـون الجـدل والخصومات في الدين ويركزون على العمل ، وقد وضح هذا المنهج بشكل نظري في كتابات ابن تـيـمـيـة وخاصة كتابه العظيم (درء تعارض الـعـقـل والنقل) وكان بالإمكان بناء نهضة علمية عملية لو أخذ المسلمون بهذا المنهج ، ولكنهم مـع الأسـف غـرقـوا في الجـدل وعـلـم الكلام فأبعدوا عن مجالات القيادة.
والجدل أسهل من البحث والاستقراء والخروج بـنـتـائج في شتى مجالات العلوم. وإذا كان للمنهج هذه الأهمية "فإن نجاحه مرتـبـط بــتـنـاول المـشـكـلـة من جانبيها معاً (الاستعمار والقابلية للاستعمار) ، فإذا نظرنا إلى جانب دون الآخر فقد غامرنا برؤية مشكلة مزيفة" (8).
لذلك وقبل أن ننتقل إلى موضوع (إقلاع) العالم الإسلامي باتجاه بناء حضارة لابد أن نعرض وجهة نظر مالك بن نبي في الاسـتـعـمـار الـذي هـو الجـانـب الخـارجي مـن المشكلة ، أو الجانب السلبي لنكون على وعي تام بما يدبر لإعاقة النهضة الإسلامية.

الاستعمار والصراع الفكري :

إن عـرض مـشـكـلـة الاسـتـعـمـار يـبـدو أكثـر أهمية إذا علمنا أنه ركز هجومه على العالم الإسلامي، بينما كان أقل شراسة ولؤماً مع الشعوب الأخرى ، وحاول إجهاض أي عـمـل إسـلامي مثمر ، واستخدم أخبث الوسائل ومنها الوسائل الفكرية.

ومالك بن نبي وإن كان ممن لا يعلقون أخطاء وتـقـصـيـر المـسـلمين على شجب (الاستعمار) وحده بل يهتم بالعوامل الداخلية ، ويرى أنها الأساس في البـحـث والـتـحلـيل ، إلا أنه خبير بخفايا هذا الاستعمار ومواقفه من قضايا المسلمين ، لذلك جاءت ملاحظاته وتعليقاته على هذا الجانب فيها عمق ومعاناة ، فقد قرأ الكثير وعانى الكثير من استـعـمـار فـرنـسـا للجزائر ، وهو يرى أننا إذا أردنا أن نتقصى الحركة الاستـعمـارية من أصـولها فلا بـد أن ننظر إليها كعلماء اجتماع لا كرجال سياسة (9) ، فظاهـرة الاسـتـعـمـار من طبـيـعة الرجل الأوربي ، فكلما وقع اتصال بين الأوربي وغـيـر الأوربي خارج إطار أوربا فهناك (مـوقـف استعماري)(10) بينما نجد في عصر ازدهار الحضارة الإسلامية أن رحلات ابن بطوطة وأبو الفداء والمسعودي لم تثر شهيتهم للاستعمار. ورحلات مثل هذه تثير شهية الأوربي ، إن تحليل (منوني) الكاتب المتخصص بنفسية الاستعمار ، يقول : »إن الأوربي يحب عالم دون بشر« ولو قال منوني إن الأوربي يحب عالم دون شهود على جريمته لكان هوالصواب(11).

وحتى بعض الأفراد الغربـيـين الذين يـشـاركـون في المعركة ضـد الاستعـمـار إنمـا يشاركون مادامت في النطاق السياسي ، وسرعان ما ينعزل عنها حينما تأخذ طابع الصراع الفكري ، فالرجل المستعمَر لا يحق له الدخول في الميدان الفكري« (12).

وفي ميدان الصراع الفكرى وخاصة مع الشباب المسلم الذي يدرس في الغرب نرى الاستعمار يستخدم بخبث منطق الفعالية وخلاصته : (بما أننا نحن المسيطـرون ونـحـن الأقـوى إذن فأفكارنا صحيحة).

"ويعتبر هذا اللبس المفروش في أعماق نفسية هذا الشباب هو النواة التي تدور حولها جميع دسائس الصراع الفكري ومناوراته" (12). وقد يرفع الاستعمار أمام أعين المستعمرين شعاراً صحيحاً وهو يعلم أن المستعمرَ سيرفضه لأن الذي رفعه عدو ، وبهـذا يكـون قـد صـرفه عن عمل إيجابي قد يفكر فيه في المستقبل.

يروي مالك بن نبي تجربة من تجاربه فيقول : »انعقد في باريس مؤتمر العمال الجزائريـيـن بأوربا، وبهـذه المـناسـبـة تـقـرر من لدن المشرفـيـن على المؤتمـر توزيع كتيب لصاحب هذا العرض تناول فيه مشكلة من مشاكلنا اليوم ، ولكن أصحاب الاختصاص في الصراع الفكري لم يفتهم أن يسدوا الطريق على الأفكار المعروضة ، ولذا وجهت الدعوة إلى السيدة الألمانية

الـتـي كتـبـت (شـمـس الله تـشـرق على الـغرب) وفـيه مدح وتمجيد للحضارة الإسلامية ، وتقدمت السيدة وقدمت كتابها للمؤتمر ، فانتقل على الفور بروحه من مجال المشكلات إلى أبهة وأمجاد الماضي الخلاب«(13).

ومن وسائله الماكرة ، التي لا يزال يتقن استعمالها رمـيـه لـلـمـسـلم بشـتـى الاتهامات ، بل يحاول الإيحاء بأن المسلم منبوذ القرن العشرين ، وفي هذه الحالة يصبح سلوك المسلم ردود أفعال، وترفع عنده توتر طاقات الدفاع حتى يكون في حالة توتر شاذة ، ويعيش إما مُتهماً أو مُتَهماً، وفي هذه الظروف فإن مختبرات الاستعمار تصرف كل إمكانيات المسلم إلى معارك وهمية ، يُسمع فيها قـعـقـعة السلاح ودوي الحرب ولكنها معارك مع أشباح ، والمسلم يظن أنه انتصر ويرتاح نـفـسـيـاً ، والتاريخ الإسلامي الحديث لا يخلو من هذه المعارك الوهمية كتلك التي خاضها الأفغاني ومحمد عبده ضد أرنسـت ريـنـان وجبرايل هـنـوتو ، والمشكلة ليست في الدفاع عن الإسلام ولكن في تعليم المسلمين كيفية الدفاع عن أنفسهم" (14).

لقد تدخل الاستعمار في كل شيء حتى لا يترك فرصة لأي بعث إسلامي ، فكانت الإدارة الفرنسية في الجزائر هي التي تعين المفتي والإمام لا طبقاً لمشيئة جماعة المسلمين بل تبعاً لهوى المستعمرين ، وبذلك تجمع في يدها أنفذ وسائل الإفساد ، فاختيار رجل يؤم الناس في المسجد لا يكون بناء على تميزه بضمير حي أو علم بأصول العقيدة ، بل يراعى في ذلك ما يقدمه للإدارة من خدمات ، حتى كأنه (جاويش) صلاة ، ولا شك أن هذا الـتـحـكم في شعائر الدين مما يقض مضاجع أصحاب العقائد من المؤمنين لمـا يـرون من أحداث غـايـة في الفساد : إمام جاسوس، ومفت فاسد، وقـاض مـرتـش، وغـايـة الاستـعـمـار أن يجـعل من الإسلام صورة عجـيـبة ، وبذلك يكدس العـقـبات والعوائق على طريق النهضة الإسلامية" (15).

دور الاستشراق :

كان للمستشرقين دور بارز في محاولة تشويه وتزييف التاريخ الإسلامي والطعن في الإسلام نفسه ، ولكن مالك بن نبي يركز على ناحية معينة في إنتاجهم كان لها أثر نفسي سيء في أذهان المسلمين. فبعض المستشرقين خلطوا في كلامهم بين المدح للإسلام وبين وضع السم في الدسم، هـذا المـدح جعل بعض المسلميـن يستـسلـمـون لنزعة الفخر والعيش مخدرين على أمجاد الماضي، وكل من أراد الدفاع عن الإسلام استشهد بكلام لأحد المستشرقين ، "وهكذا يتبين لنا أن الإنـتـاج الاستشراقي بكلا نوعيه (المادحون والمفندون) كان شراً على المجتمع الإسلامي"(16) "وعـندما يعلن الاستـشـراق أنه لا نصـيـب للـعرب في تشييد صرح العلوم ، ربما يـؤدى بـنا هذا المـوقـف المـتطـرف إلى تلافـيـه بسطحـية نشاهـد أثرها في إنتاج بعض المفسرين مثل طنطاوي جوهري"(17) وهو الـتـفسيـر الذي حول الـقـرآن

إلى مـادة للـعلوم ، والـقـرآن يوجد المـنـاخ العـقـلي والنفسي للروح العلمية وليس هو كتاب جغرافيا أو فلك أو أحياء..

وأخيراً لابد أن نعلم أن المكر السيء يحيط بأهله "فالاستعمار الذي يهلك المستعمَرين مادياً يهلك أصحابه أخلاقياً ، وذلك ما يشهد به تاريخ أسبانيا منذ اكتشاف أمريكا"(18) "إن الأمم الاستعمارية على الرغم من إدراكها لأخطار الاستعمار ، تعمى عن هذه الأخطار كأن هنالك قدراً محتوماً يقضي على يقظتها ووعيها"(19).

ويجب أن نعلم أيضاً أنه رغـم كل هذه العوائـق ، استطاع المسلم التفلت من الأنشوطة التي أراد الاستعمار عقدها حول عنقه ، فما زالت فطرته وإسلامه يعطيانه القوة والدافع لتلمس الطريق الصحيح.

ما هي نقطة البدء؟ ...

الإقلاع :

الإيمان العميق بالمبدأ الذي يعتنقه المسلم هو نقطة البدء ، هذا الإيمان الذي يعطيه قوة فوق قوته، واحتمالاً فوق احتماله، فيتغلب على المصاعب التي تعترضه، ويتحول هذا الإيمان إلى عاطفة قوية جارفة "فالروح وحدها هي التي تتيح للإنسانية أن تنهض وتتقدم، فحيثما فـقـدت الروح سقطت الحضارة وانحطت لأن من يفقد القدرة على الصعود لا يملك إلا أن يـهـوي بتأثـيـر الجاذبـيـة الأرضية"(20) "فأينما توقف إشعاع الروح يخمد إشعاع العقل، ويفقد الإنسان تعطشه إلى الفهم وإرادته للعمل عندما يفقد الهمة وقوة الإيمان، فالإيمان هو المنبع الـوحـيـد للطاقة الإنسانية(21) والمسلم الذي يصل إلى درجة (التوتر الروحي) يشعر بالسعادة الغامرة عندما يبني أول مسجد في المدينة ويحمل (لَبِنَتَيْن) بدلاً عن واحدة ، "وفي هذه الحالة الروحية صـبـر بلال - رضي الله عنه - ولم تستطع قوة في الأرض أن تخفض إصبعه وهو يقول : أحد ، أحد" (22).

هـذا الإيمـان يصنع المعجزات ، عندما تختفي الأنانيات ويشترك الجميع عن طواعية في بناء حضارة، وفي المجتمع الإسلامي الأول كان المنافقون وحدهم يتخلفون عن أي عمل فيه تعب أو نصب ، وكل الكتب والمحاضرات والخطب لا تكفي لإنشاء أمة لا ترتفع إيمانياً وأخـلاقـيـاً إلى درجـة عـالـيـة، كما جاء في الحديث عن جندب بن عبد الله قال : »تعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ثم تعلمنا القرآن فازددنا به إيماناً«(23).

والـقـرآن الـكـريـم وضـع ضمير المسلم بين حدين هما: الوعد والوعيد، ومعنى ذلك أنه قد وضعه في أنسب الظروف وهذان الحدان ينطبقان على مفهوم الآيتين الكريمتين :

أ- ((فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إلاَّ القَوْمُ الخَاسِرُونَ)).

ب- ((إنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إلاَّ القَوْمُ الكَافِرُونَ)).

وبين هذين الحدين تـقـف القوة الـروحية مـتـناسبة مع الجهد الفعال الذي يبذله مجتمع طبقاً لأوامر رسالة"(24).
يقول الدكتور (الكسس كاريل) معبراً عن هذه الحقيقة: "فالأمل والإيمان والحمية تؤثر في الجـسـم تـأثـيـر الـبخار في العجلة المحركة" (25) "وإذا نجحت إحدى الأفكار في تغيير ســلـوك الـبـشــر فذلك لأنها تنطوي على عناصر عاطفية إلى جانب العناصر المنطقية، إن الإيمان هو الذي يدفع الإنسان إلى العمل وليس العقل ، والذكاء يكتفي بإنارة الطريق ولكنه لا يدفعنا إلى الأمام"(26).
هذه الطاقة الإيمانية جعلت الفرد المسلم في عصر النبوة يقسم ثروته مع أخيه الذي هاجر إليه، فالمؤاخاة التي تمت بين المهاجرين والأنصار هي أول عمل تاريخي يقوم به المجتمع ساعة ميلاده ، ولولا قوة شبكة العلاقات الاجتماعية لما استطاع المجتمع الإسلامي الإقلاع باتـجـاه حـضـارة، وفي حـالــة تـمـزق هذه الـعلاقــات قد توجد العوالم الثلاثة (الأفكار، والأشخاص، والأشياء) ولكنها لا تغني شـيـئاً ، وقد يكون هناك مسلمون متحمسون وهناك أفكار ولكن الشبكة ليست قوية.
إن قصة المؤاخاة ليست خيالية، ولا هي أقرب للخيال، فالإسلام دين واقعي، وليس صعباً أن يحقق المسلمون شيئاً من هذه (المؤاخاة) ، والآن توجد (إخوة إسلامية) خـطابـية وعظية ولكن لا يوجد (مؤاخاة) عملية فعلية ، من هنا المنطلق ، ومن هنا البداية.
"يتبع"

الهوامش :

1- لاشك أن هذه نهضة صناعية ، وليست نهضة حضارية بالمعنى الشامل ، ولكن لو أن اليابانـيـين طالـبـوا بنقل مفاسد حضارة الغرب وسلبياتهم كما يطالب المستغربون عندنا لما نجحوا في بناء هذا المجد الاقتصادي ، لقد حافظوا على نوع من التقاليد وأخلاق صارمة في التعامل حتى استطاعوا إقامة هذه النهضة.
2- الأفرو آسيوية / 78.
3- شروط النهضة /59.
4- وجهة العالم الإسلامي /75.
5- آفاق حد الرية / 46.
6- إنتاج المستشرقين / 28.
7- إنتاج المستشرقين / 33 .
8- وجهة العالم الإسلامي /86.
9- وجهة العالم الإسلامي /85.
10- في مهب المعركة / 16.

11- في مهب المعركة / 28.
12- الصراع الفكري في البلاد المستعمرة / 9.
13- مشكلة الأفكار / 140.
14- إنتاج المستشرقين / 16.
15- الصراع الفكري / 6768.
16-17 إنتاج المستشرقين / 25.
18-19 وجهة العالم الإسلامي / 113.
20- المصدر نفسه / 26.
21- المصدر السابق/27، وقد يستغرب القارئ ويقول : كيف نجمع بين كلامك في نهاية المـقـال الـسـابـق عـن أن تـوحـيـد الإلهية لم يكن واضحاً تماماً عند مالك. وبين كلامه عن الإيمان وأثره ومهاجمته لعلم الكلام ، وقد نبهني أحد الأصدقاء إلى أن ظاهر كلامه لا يدل على هذا ، مع قناعته بوجهة نظري ، فذكرت له أنني استنتجت هذا الكلام من مجموع قراءاتي لكتبه، كما أنه في النية كتابة مقال مستقل عن بعض أخطائه ومنها هذا الموضوع، وسأوضح الدليل على ذلك إن شـــاء الله ، وقـــد يزول الإشكال إذا عرفنا أنه يتكلم هنا عن بناء الحضارات بشكل عام ، فالمسلم عنده طاقة روحية وغير المسلم عنده هذه الطاقة في بدء دورة الحضارة كما يذكر في أكثر كتبه.
22- ميلاد مجتمع / 21.
23- صحيح سنن ابن ماجه ، بتحقيق الألباني 1 / 16.
24- ميلاد مجتمع / 21 .
25- تأملات في سلوك الإنسان / 84.
26- المصدر نفسه / 139.

الزيارة بين النساء
على ضوء الكتاب والسنة
- 3 -

خولة درويش

إن المؤمنة حيثما جالست غيرها تحرص على أن لا تقذف بكلامها دون تمحيص ، فـهـي تسعى لتكون أقوالها فضلاً عن أفعالها في ميزان حسناتها.

لـذا تـتـواصـى مع أخواتها المؤمنات بكل ما فيه خير وصلاح ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وإن لـمـسـت نفوراً وشقاقاً بين البعض منهن فهي تعمل على إصلاح ذات البين ، وإطفاء نار العداوة ، تتمثل قوله تعالى : ((لا خَيْرَ فِي

كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ)) [النساء 114].

المتأمل في هذه الآية يجد أن غالبية النجوى لا خير فيها إلا هذه الثلاث :

1- الأمر بالصدقة.

2- الأمر بالمعروف ، ونجمعهما تحت عنوان الدلالة على الخير.

3- الإصلاح بين الناس.

ومن تكلم بها أو بأحدها فهو في قربة إلى الله تعالى ، بل وكلامه من أفضل الذكر فقد قال ابن تيمية رحمه الله :

»إن كل ما تكلم به اللسان، وتصوره القلب ، مما يقرب إلى الله ، من تعلم علم ، وتعليمه ، وأمر بمعروف ، ونهي عن منكر ، فهو من ذكر الله ولهذا من اشتغل بطلب العلم النافع ، بعد أداء الفرائض ، أو جلس مجلساً يتفقه أو يفقه فيه الفقه الذي سماه الله ورسوله فقهاً فهذا أيضاً من أفضل ذكر الله« (1).

1- الدلالة على الخير :

فإذا رزقك الله فهماً وعلماً ، أو قوة وعافية ؛ فاستخدميها لمعاونة المسلمين وتسهيل حاجاتهم ، سواء بعملها بيدك ؛ أو بتعليمها غيرك ، فما ذلك إلا زكاة الصحة التي حباك الله إياها.

"كل سلامى من الناس عليه صدقة ، كل يوم تطلع فيه الشمس ، تعدل بين الاثنين صدقة ، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة ، وتميط الأذى عن الطريق صدقة" (2).

إن كثيراً من بلادنا المسلمة مليئة بالأزمات الاقتصادية بسبب القحط أو الحروب. وتنشط المؤسسات التبشيرية والشيوعية للاستفادة من تقصيرنا جميعاً ، فتستغل آلام المكلومين لتقدم لهم الغذاء واللباس والدواء طعماً لجذبهم به لمصيدتها ، وتعمل جاهدة بكل الوسائل لجلبهم لساحتها ، بتربية أبنائهم أو تعليمهم أو تطبيبهم...

فهلا استفدنا من زياراتنا ووقتنا الضائع؟! فتدارسنا أحوال أمتنا ، وعلمنا بعضنا أن نخيط الثياب التي تستر عورات أخواتنا المسلمات المحتاجات.

ولنصنع من الطعام ما يمكن أن يرسل لهن. ولنثبت أننا المسلمات اللاتي يهمهن أمر الأمة المسلمة. لا الدمى المتحركة التي تُزين لتلهي من حولها وتبعد عن جادة الصواب.. فهل النصرانيات أقدر منا؟؟ أم أنهن أكثر تضحية وإيماناً؟ نحن حفيدات عائشة وخديجة وأسماء ، أو لسنا أجدر أن نضحي من أجل حقنا الأكيد أكثر من تضحيتهن من أجل باطلهن؟.

ويتامى المسلمين؟! من ينجينا من الإثم إذ يُحملون إلى البلاد الشيوعية أو النصرانية ليربوهم على دينهم؟.

ماذا نقول غداً لرب العالمين إن سألنا عنهم وعن تفريطنا وتقصيرنا في حقهم؟!
أفلا يجدر بنا أن نتكفلهم؟ وماذا لو ضمت الأسرة إليها فرداً أو اثنين لتنشئتهم (لا تبنيهم فهو محرم) وتربيتهم؟.
أو إن عملت الجمعيات الخيرية المسلمة لرعايتهم ، وساهمت المرأة المسلمة بما تستطيع ، سواء بالمادة أو بالجهد الذي تقدر عليه ، من عمل يدوي أو تعليمي أو توجيهي؟!
قد يقال : إن هذه أعمال ضخمة لا تقدر عليها جهود فردية قليلة المورد.
((إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ)) [الرعد 11] فهذه الفكرة إن اقتنعت وإياي بها وأقنعت في زيارتك صديقتك المؤمنة وجارتك المسلمة لابد وأن نحقق خيراً كثيراً للمسلمين ، ونكون قد ساهمنا معاً في النهضة الإسلامية.
ولاشك أن ذلك مطلب شرعي بدلاً من أن تظل المسلمة مجال تنافس الدول لتلهيها عن رسالتها بمستحضرات التجميل ، وأدوات الترهل والترفيه.
وبذلك نكون قد ارتقينا بزياراتنا عن اللغو إلى التناصح لما فيه خيرنا وخير المسلمين ، وفي عملك ذلك أجر الصدقة.
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أي الأعمال أفـضـل؟ قال: الإيمان بالله، والجهاد في سبيله. قال: قلت: ثم أي الرقاب أفضل؟ قال : أنفسها ثمناً عند أهلها وأكثرها نفعاً. قال: قلت: فإن لم أفعل؟ قال : تعين صانعاً أو تصنع لأخرق« (3).
فـلـك في معاونتـك لأختك المسلمة أياً كانت تلك المعاونة الثواب الجزيل فعملك من أفضل القربات.
فإن كانت مريضة أعجزها المرض عن أداء مهمتها تساعدينها في تعليم أولادها الصغار ، أو عمل طعام لهم ، أو ترتيب بيتها وتنسيقه بدل أن تكون زيارتها للكلام والتسلية فحسب.
وإن كانت نفساء أمضها ألم الولادة : تقومين على رعايتها ورعاية وليدها. فهذا أجر قد ساقه الله إليك، ولا يقدر عليه غيرك، وإن كانت جاهلة بفنون المنزل، أو حتى في التعامل الاجتماعى تعلمينها وتنصحينها فالدين النصيحة، ولك في كل ذلك أجر الصدقة، ولنذكر معاً حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: »من كان في حـاجـة أخيه كان الله في حاجـتـه، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة« (4).
فـلـنـكـن في حـاجـة أخواتنا المسلمات ، والله معنا في قضاء حاجاتنا وتفريج كرباتنا. وأينا تسـتـغـني عن غـيـرها؟! وإن استغنت الواحدة عن غيرها بأعمالها ، فلابد أن تحتاج إلى التناصح والمشاورة معهن.

فما أجدرنا نحن المسلمات الحريصات على حسن تنشئة أبنائنا ونراقب الله في تربيتهم ما أجـدرنـا أن نسـتـفـيد من فترة زياراتنا للتناصح في تربيتهم، وحل مشكلاتهم ليحل العمل والتوجيه محل الشكوى والأسى الذي لا يصحح خطأً ولا يغير واقعاً.

فإن أقلقنا أن نجد بعضاً من أبناء المسلمين يفوتهم الفكر الديني الواعي، أو لا يلتزم آخرون بالتعاليم الشرعية، أو لا يجيد الكثير منهم التعامل مع الآخرين ... فعلينا نحن المسلمات أن نسعى إلى تصحيح هذا الواقع المرير بكل ما نستطيع وبصبر وجلد.

ذلـك أن الـتـربـيـة لـيـسـت أن تـلـقـي الكلمة والتوجيه على أبنائنا ثم ننتظر الاستجابة، فالمغريات كثيرة لا تنتهي... والتربية طويلة وشاقة تبدأ من نعومة أظفارهم.

فـلابـد مـن الـرعايـة الدؤوب لهم دون ملل. نتابعهم باستمرار في جدهم وهـزلـهـم، لعبهم ومذاكرتهم.

وبـعـد أن نعمل جهدنا لنكون القدوة الحسنة لهم في كل خلق فـاضـل كـريـم، نتناصح مع أخـواتـنـا المـؤمـنـات في حـسـن اخـتـيـار القـصص المفيدة التي تثقف الطفل وتعده لحياته المـسـتـقـبـلـة، وتربي وجدانه فيعرف كيف يعطي كل ذي حق حقه. ونبعده عن القصص الـخـرافـيـة والبولـيسـية وكذلك عن البرامج الإعلامية التي لا تليق، ونسعى بالتشاور مع بعضنا لنحيط أبناءنا بالصحبة الطيبة التي تعينهم على الخير.

فـالـشـر كـالـداء المـعـدي، سرعان ما يـنتشر بالمخالطة. فنبعدهم عنه لنحفظ عليهم دينهم وخلقهم.

وهكذا نشحذ هممنا لتكون زياراتنا هادفة لما يرضي الله وينفع المسلمين.

عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رجلاً جاء إلى رسول الله - صلى الله عليه وسـلـم - فقال: يا رسول الله. أي الناس أحب إلى الله؟ قال: »أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله -عز وجل- سرور تدخله على قلب مسلم".

فـلـنـحـرص على نفع المسلمات وإدخال المسرة على قلوبهن ، ولا نبخل بنعمة حبانا الله إياها أن نخدم بها مسلمة فنفرج بها كربتها ونعمل ما فيه مصلحتها ، وندعوها إلى اتباع الخير الذي نريده لأنفسنا، قال تعالى: ((والْمُؤْمِنُونَ والْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ويَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ ويُقِيمُونَ الـصَّـلاةَ ويُـؤْتُـونَ الزَّكَاةَ ويُطِيعُونَ اللَّهَ ورَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)) [التوبة 71].

ولا تـقـول المسـلمة: مالي وللناس، فإني أدعهم وشأنهم ولا أتدخل في خصوصياتهم، نـعـم ذلك في أمور الدنيا المباحة التي يستوي فيها عملها وتركها

»فـمـن حـسـن إسـلام المرء تركه مـالا يـعـنـيه« أما ما فيه خطر محقق وحتى لو كان ذلك في أمور الدنيا، فالواجب النصح فالدين النصيحة.
إن المؤمنة عليها مهمة النصح والدعوة إلى دينها على قدر ما تستطيع، ومن روائع ما روته لنا السيرة ، قصة الصحابية الجليلة الجليلة أم سليم.
(كانت أم سلـيم أم أنس بن مالك من السابقات للإسلام من الأنصار خطبها أبو طلحة قبل أن يسلم وبعد وفاة زوجها فقالت : يا أبا طلحة ألست تعلم أن إلهك الذي تعبده نبت من الأرض، قال: بلى. قالت : فلا تستحي أن تعبد شجرة؟! إن أسلمت فإني لا أريد صداقاً غيره. قال: حتى أنظر في أمري. فذهب ثم جاء. فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فقالت : يا أنس زوج أبا طلحة. فزوجها)(5).
إنه مهر كريم لامرأة داعية كريمة ، دعته إلى عبادة الله وحده ، والبعد عن الشرك به ، فشرح الله صدره وآمن فأكرِم به من مهر.
وما هـلـك بـنـو إسـرائـيـل إلا لتركهم فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ((كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)) أما اعتزال الناس اعتقاداً بعدم صلاحهم، فهو كما يقال : آخر الدواء الكي ذلك أننا (حين نعتزل الناس لأننا نحس أننا أطهر منهم روحاً أو أطيب منهم قلباً ، أو أرحب منهم نفساً ، أو أذكى منهم عقلاً لا نكون قد صنعنا شيئاً كبيراً. لقد اخترنا لأنفسنا أيسر السبل وأقلها مؤونة.
إن العظمة الحقيقية أن نخالط هؤلاء الناس مشبعين بروح السماحة والعطف على ضعفهم ونقصهم وخطئهم وروح الرغبة الحقيقية في تطهيرهم وتثقيفهم ورفعهم إلى مستوانا بقدر ما نستطيع.
إنه ليس معنى هذا أن نتخلى عن آفاقنا العالية ، ومثلنا السامية ، أو أن نتملق هؤلاء الناس ، ونثني على رذائلهم أو أن نشعرهم أننا أعلى منهم أفقاً. إن التوفيق بين هذه المتناقضات وسعة الصدر لما يطلبه هذا التوفيق من جهد هو العظمة الحقيقية) (6).
وهكذا ... فـبـعـد أن تتعهد المسلمة نفسها بالإصلاح فتلتزم السنة وتعض عليها بالنواجذ، تـسـاهـم بـالـدعوة إلى الخير بين النساء. وهذا واجب ديني تأثم إن قصرت به، مهما كان مستواها الثقافي، فتعمل بقدر طاقاتها وإمكانياتها، تأمر بالمعروف بلفظ لين وقول لـطـيـف، والله تعالى يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم ((ولَـوْ كُـنـتَ فَـظـاً غَـلِـيـظَ القَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)) [آل عمران 159] ، ترفق بمن حولها ، توقر الكبيرة وترحم الصغيرة ، ولا تنسى أنها صاحبة هـدف جلـيل تسعى لتحقيقه بأسلوب يرضي الله تعالى ويؤدي للنتيجة التي ترجوها.
فـكـمـا يسـعى أصحاب الأهداف الدنيوية لتحقيق أهدافهم، فيتحسسون مداخل نفوس من يتعاملون معهم، ليعرفوا كيف الوصول لغايتهم، يجب أن

نكون نحن المسلمات أكثر اهتماماً بـمـعـرفـة مـن نـدعـوهـن لتكون دعوتنا كما أراد الله تعالى:((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ والْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)) [النحل 125].

2- الإصلاح بين المؤمنات :

كـمـا نـجعـل من زياراتنا مجالاً خصباً للإصلاح بين الناس ، فإن عمل الشيطان على إثارة الـعـداوة بـيـن المسلمات نزيلها بالإصلاح بينهن، فإن إزالة الخصام دليل سمو النفس التي تعمل على إشاعة المودة بين الآخرين، ليحل الوفاق محل الشقاق، والصلة مكان القطـيعة، لذا كانت درجة من يصلح بين الناس أفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة التطوع لا الواجبة .

عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: »إلا أخبركم بأفـضـل مـن درجـة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا : بلى. قال: إصلاح ذات البين، فإن فـسـاد ذات الـبـيـن هي الحالقة«. ويروى عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: هي الحالقة: لا أقول تحلق الشعر ، ولكن تحلق الدين«.

ذلك أن الإفساد بين الآخرين يـؤدي إلـى القطيعة التي حرمها الشرع كما جاء في الحديث الـشـريــف:»لا يـحـل لمـسـلـم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام" (7).

وقال صلى الله عليه وسلم مـنـفـراً مـن الـشـحـنـاء والقـطـيعة ومبيناً سخط الله تعالى على المتقاطعين حتى يصطلحا: »تـفـتـح أبواب الجنة يوم الاثنين، ويوم الخميس، فـيغـفـر لكل عـبـد لا يـشـرك بالله شيئاً، إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال: انظروا هذين حتى يصطلحا ثلاثاً«(8).

فـإن حـصـلـت جفوة بين المسلمات نسارع إلى الإصلاح بينهن للتغاضي عن هفوة المخطـئـة، فإذا بالعيش صافياً بعد كدر ، والوداد عاد بعد الجفاء.

والـواجـب أن تقـبـل عذر من تعتذر، لا أن تشيح بوجهها بعيداً عن أختها ، إصراراً على مواصلة القطيعة، وعدم قبول العذر: إذ من شرار الناس من لا يقبل عثرة، ولا يقبل معذرة كما بين الرسول -صلى الله عليه وسلم-:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رســول الله صـلـى الله عـلـيـه وسلم: »ألا أنبئكم بشراركم؟ قالوا: بلى إن شئت يا رسول الله، قال: إن شراركم الذي ينزل وحده، ويجـلـد عبده، ويمنع رفده. أفلا أنبئكم بشر من ذلك؟ قالوا: بلى إن شئت يا رسول الله. قال: من يبغض الناس ويبغضونه، قال: أفلا أنبئكم بشر من ذلك؟ قالوا: بـلـى إن شـئـت يا رسول الله. قال: الذين لا يقبلون عثرة ولا يقبلون معذرة ولا يغتفرون ذنباً، قال: أفلا أنبئكم بشر من ذلك؟ قالوا : بلى يا رسول الله : قال : من لا يرجى خيره ولا يؤمن شر 5"(9).

الهوامش :

1- الفتاوى 10 / 661.
2- رواه البخاري ، ومسلم.
3- شرح صحيح مسلم 2 / 73.
4- متفق عليه.
5- الإصابة 4/442.
6- أفراح الروح ، لسيد قطب.
7- شرح صحيح مسلم 16/ 117122.
8- شرح صحيح مسلم 16/ 177 - 122 .
9- رواه الطبراني وغيره ، ينظر الترغيب والترهيب 3/394.

منبر الشباب

الشريعة الإسلامية
لا الأعراف الجاهلية

بقلم : عبد الله سعيد بالحداد

كان للعرب في الجاهلية الأولى عادات وتـقـالـيـد مـنـهـا مـا هــو حسن كالشجاعة والإقدام ومساعدة المحتاج وإغاثة اللهفان ، ومهنها ما هو سيء كوأد الـبنات وشرب الخمر.

وحينما جاء الإسلام أبقى حسنها وألغى سيئها ، فما كان من العرب ، أمام أحكام الإسلام إلا أن قالوا سمعنا وأطعنها.

ومما يلفت النظر أن المسلمين وكأنهم بدأوا يعودون لوضع العرب قـبـل الإســلام مـن حيث إعطاء عادات وتقاليد الآباء والأجداد تقديساً واحتراماً أكثر من أحكام الشريعة.

وفي هذه العجالة سنتطرق إلى بعض العادات والتقاليد المخالفة للشريعة ولكن أغلب المسلمين يمارسونها لا لشيء إلا أن آباءهم وأجدادهم كانوا يمارسونها.

ففي الخِطْبَة مثلاً، نجد أن الخاطب حينما يود أن يرى خطيبته في بيت أهلها يقوم الأهل بمنعه بحجة أن هـذا مخـالـف للعادات ويعرضهم لألسنة الناس الحداد ، مع أنه بإمكان الخاطب مشاهدة خطيبته خارج البيت ولكن في البيت ممنوع.

وحينما نعود إلى الشرع ونستنطق حكمه في هذا ، نجد أنه يجوز أن يرى الخاطب خطيبته كاشفة الوجه واليدين وأن يتحدث معها بوجود محرم معهما.

وأيضاً كذلك في المهور، نجد عند ضعاف العقول من الناس أن شرف وكرامة الفتاة يكون في مهرها وعلاقته مع المهر علاقة طردية، فنجد بعض الآباء يغالون في مهور بناتهم لتوهمهم بأن هذا يزيد من رفـعـة ومكانة البنت ، في

حين أن الشرع أوجب مهر الفتاة واعتبره ركناً من أركان الزواج لكنه حفـز وشـجع على أن يكون المهر بسيطاً لكي لا يكون عقبة في طريق الزواج.
وهناك أيضاً في حفلات الزفاف نجـد عـادة دخـول الـعـريس فـي ليلة زفافه مع عروسه في أبهى زينة لها أمام جمهور مختلط من الرجال والنساء ، وهي عـادة دخيلة على المجتمع الإسلامي ، فقد قدمت إلينا عن طريق الغرب حينما أخذنا شرور الـحـضـارة الـغربية دون خيرها ، ناهيك أيضاً عن الإسراف والتبذير الذي يحدث في تلك الحفلات.
وحينما نعود بالأمر الى الشرع نجد أنه يحرم اختلاط الرجال بالنساء دفعاً لفتن كثيرة.
وأيـضـاً عـادة دخـول الزوجة على إخوان وأقارب وأصدقاء الزوج (هذا إن لم تكن الزوجة مكرهة على ذلك) بحجة أنهم مأمونوا الجانب.
وحين تحاول أن تنصح الزوج وتبين له الخطأ الذي هو فيه يجيبك : ماذا يحدث لو أنها جلست مع أولاد عمومتي نصف ساعة، لن تنشق الأرض ولن تخر الجبال هداً ، أتريد أن يقولوا عني أنني لا أستأمنهم على عــرض؟! مـاذا سـيـكـون موقفي حينها ، يا أخي لقد وجدت آبائي هكذا وأنا أظن أنني سليم معافى.
وكأن لسان حال هذا الرجل يقول: إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقـتدون.
وهل أهلك عم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أبا طالب إلا خوفه من مقولة الناس بأن ابن عبد المطلب صبأ وترك دين آبائه وأجداده.
ولكننا حينما نعود إلى الشرع لنأخذ منه القول الفصل نـجـد أنـه يـحـرم جـلـوس المرأة مع الأجـنـبـي حتى لـو كـان معها محرم ، ولنا في رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أســوة حـسـنة فـقـد روى عـنـه أنـه قـال: »إياكم والدخول على النساء فقال رجل يا رسول الله: أفرأيت الحمو (أي أقارب الزوج) قال : الحمو الموت) رواه الشيخان.
وهكذا نجد أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد قرن الحمو بالموت لما يجب أن يحتاط منه أكثر من الأجنبي.
فـعـلـى المـسـلـم أن يرجع في كل صغيرة وكبيرة إلى شرع الله وأن يزن عادات وتقاليد الآباء والأجداد بميزان الإسلام لا العكس، فالإسلام لم يترك شيئاً إلا وقد بينه ووضحه فقال عز من قائل:((ولَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ومَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الفَاسِقُونَ)) [البقرة:99]. وقال تـعـالـى:((قَـدْ جَاءكُم مِّـنَ اللَّهِ نُورٌ وكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُـبُـلَ السَّلامِ)) [المائدة: 16].
وإذا ما حكم الشرع بحكم غير ما تهوى الأنفس ومخالف للعادات فعليه أن يرضـخ للحكم وأن يقول: سمعنا وأطعنا، لا أن يقول: بل نتبع ما ألقينا عليه

آباءنا، واقـرأ معي قول الله تـعـالـى: ((ومَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ ولا مُؤْمِنَةٍ إذَا قَضَى اللَّهُ ورَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ)) [الأحزاب:36].
واعلم يا أخي أن أتباع الشرع المخالف لهوى الناس قد يغضبهم في بادئ الأمر،ولكن يجب أن لا يغيب عن ذهنك حديث رسول الهدى: »من التمس رضا الله بسخط الناس، رضي الله عنه وأرض عنه الـنـاس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس« رواه ابن حبان في صحيحه ، فيا أخي هل بعد هذا الحديث اختيار؟.

العالم الإسلامي بانتظار الأولي بقية

بقلم : أحمد زيدان

تعيش الأمة الإســلامـيـة فـي حالة ضعف لا تحسد عليها ، وكي تنهض من الوهدة التي سقطت فيها لابد لها من جمـاعــة تأخـذ بأيديها إلى برّ الأمان وشطآن الاستقرار ، وتأخذ على عاتقها مهمة التغيير الـحـضـاري ، والقفزات النوعية بخصوص ذلك ، ونقل هذا إلى حيز التنفيذ ، وقد أرشدنا الله تعالى إلى هـذا الـطـريق بقـولـه : ((فَلَوْلا كَانَ مِنَ القُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الفَسَادِ فِي الأَرْضِ إلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ واتَّبَعَ الَذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وكَانُوا مُجْرِمِينَ)) [هود:113].
يصفهم الإمام القرطبي بقوله : »أصحاب طاعة ودين وعقل وتمـيـيـز« ، [تفـسـيـر القــرطبي 9/113].
ويقول ابن قتيبة : »المعنى : فهلا كان من القرون ممن كان قبلكم أولو بقية ، والبعض قال أولو تمييز« ، [زاد المسير في علم التفسير 4/170].
ويـقـول الإمــام الطبرى : »ذو بقية من الفهم والعقل يعتبرون مواعظ الله ويتدبرون حججه فيعرفون مالهم في الإيمان وعليهم في الكفر به« [تفسير الطبري 12/ 138].
ونخلص من هـــذه الأقــوال إلـى ضرورة توفر ميزات معينة في هذه الجماعة وذلك من فهم كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- مـــع إدراك كـامــل للواقع البشري الذي تحياه الأمة ، والتمييز بين ما يصلح وما يضر ، لابد لهذه الجماعة من التعرف على سنن الله وتوظيفها لعمارة الأرض على مقتضى القرآن والسنة بالإضافة لمهمة تبصير الأمة بمكامن القوة وأماكن الخطر حتى تعرف الأمة من أين تؤتى.
وكما يقولون الرائد لا يكذب أهله. فكل جماعة إنسانية ترنو إلى تسجيل قفزات نوعية في الإقلاع الحضاري لابد لها من صفوة رائدة تتصف بصفات معينة تخولها لهذه المكانة.

يـقــول المؤرخ أرنـولــد تويـنـبي: »إنه لابد لكل جماعة إنسانية من صفوة قائدة لكي تتقدم وتتحسن أحوالها ولايتم تقدم إذا عدمتها الجماعة ، فكأنها خميرة التقدم والنهوض«. ويقول : »إن مصير الجماعة كلها مرتبط دائماً بهذه الصفوة ، وأحوالها فإذا ظلت على هذه الـحـال من القـلـق والسعي والإحساس بمسؤولياتها عند الجماعة تكّون حولهم جماعة من الناس يسيرون في الطريق بعدهم وأطردت مسيرة الجماعة وطال عمر صلاحها«.
كما أكـد الأسـتـاذ سـيد قطب في كتابه القيم »معالم في الطريق« ، على ضرورة نهوض طليعة مؤمنة تنقذ الأمة.
وتأتي ضرورة وجود هذه العـصـبة من كون الله يحفظ بهم الأمه من غوائل الدهر وعاديات الزمن ، فهم وحدهم القادرون على إدراك الخطر الحضاري أو السوس الذي ينخر ببطء في المـجـتـمـع، كما أنـهـم هـم الـقـادرون على تلمس القـفـز الحضاري وطرقه ووسائل تنميته وتشجيعه.
يـقــول الأسـتـاذ رشيد رضا: »جاءت هذه الآية بعد بيان إهلاك الأمم بظلمهم وإفسادهم في الأرض للإعلام بأنه لو كان فيهم جماعات وأحزاب أولو بقية من الأحلام والفضائل والقوة في الـحـق يـنهـونهم عـن ذلك لما فـشـا فـيهم ، وأفسدهم ، وإذن لما هلكوا ، فإن الصالحين المـصـلـحـيـن في الأرض هـم الـذين يـحفظ الله بهم الأمم من الهلاك ما داموا يطاعون فيها بحسب سنة الله ، كما أن الأطباء هم الذين يحفظ الله بهم الأمم من فشو الأمراض والأوبئة فــيـهـا مادامــت الجماهير تطــيعهم فيما يأمرون به من أسباب الوقاية قبل حدوث المرض« [المنار:12/244].
ولم ينفع العالم الإسلامي هذا الغثاء كله الذي يملكونه ليدفعهم إلى مصاف الأمم الحضارية والمدنية. فالصوفيون الخرافيون المنتشرون في أكثر بلاد المسلمين إن لم أقل في كلها لم يكن لهم أي تغيير حضاري يذكر أو يسجل بل يقفون عقبة كأداء في كثير من البلدان في وجه الحركة الإسلامية الحقيقية التي تنشد التغيير الحضاري ، وأسجل مثال الصوفية هنا نتيجة كثرتهم الكاثرة التي لم تؤثر في مجرى إعمار أرض المسلمين على مقتضى الشريعة الغّراء. بينما قام أفراد معدودون أمثال ابن باديس والبنا والدهلوي والمودودي بأعمال إسلامية مازالت بصماتها وتأثيراتها حتى الآن.
ولقد كتب الله تعالى في "الزبور" ، أنه لن يسلم حكمه لشخصيات مهزوزة لا تأخذ الكتاب بقوة ولا تثبت وجودها في عالم تصارع الأفكار والمبادئ عندما قال : ((ولَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)) [الأنبياء:105].
إن أفراداً قدموا خدمات لأممهم أكثر من ملايين الأفراد ، لأنهم أدركوا عظم الخطر الذي يتهدد بلادهم وحجم المسؤولية الملقاة عليهم ، وهذا لا ينافي ما ذكرناه من ضرورة العمل الجماعي الذي يحقق نتائج أفضل ، فالعالم الذري

اليهودى (اينشتاين) قدم لبني جلدته خدمات كبيرة في فرض وجودهم السياسي وإقامة دولتهم على تراب أرض فلسطين المغتصبة ، وكذلك (الأغاخان) الذي جعل من طائفته الإسماعيلية الباطنية جماعة قوية يحسب لها حسابها وإن تشييد جامعة الإسماعيلية في مدينة (كراتشي) الباكستانية ، لخير شاهد على ذلك ، كما أن نفوذه الاقتصادي في باكستان أمر خطير جداً.

ويزخر التاريخ الإسلامي بشخصيات تركت آثارها على الواقع الفكري الإسلامي والواقع العلمي حتى هذا اليوم ، وأكبر مثال على ذلك هو شيخ الإسلام ابن تيمية الذي مازالت الحركات الإسلامية تستشهد وتقتبس من أقواله أثناء تنظيراتها الفكرية والحركية ، وهذا مصداق قوله -صلى الله عليه وسلم- : »يبعث الله على كل رأس مئة عام من يجدد لهذه الأمة أمر دينها« [رواه أبو داود وصححه الشيخ الألباني].

والـخـطـوة الأولـى في هـذا المضمار هو أن تأخذ جماعة رائدة مسلمة على نفسها هذا العهد وتعمل من أجله ليل نهار ، ولا تتعجل في عملية التجميع والتكديس ، ولنا في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة عندما قدم عليه وهو في طريق هجرته بعض الأعراب يريدون إشهار إسلامهم والهجرة إليه، نظر إليهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكأنه تـفـرّس فـيـهـم وعــرف عـدم صـلاحـيـتهم لأن يكونوا معه في دار الهجرة في هذه المرحلة الحساسة من إقامة دولة الإسلام فقبل إسلامهم وأمرهم بالعودة إلى بلادهم، وعدم الهجرة، ذلك أن بعض الأفراد قد يكونون عقبة في تقدم العصبة المؤمنة (الأولو بقية) الذين يريدون التقدم النوعي المتميز وبمقدار ما تكون الدفعة الحضارية والزخم الروحي للانطلاقة الأولى لهذه العصبة قوية بمقدار ما تطول فترتها أكثر وأكثر.

ولابد لهذه الفئة من شحذ فعاليتها، ودراسة الواقع المحيط بها والحضارات التي تعاقبت على الأمم حتى تنتفع بهذه الدروس ولا تضيف درساً مكرراً إلى الإنسانية ، فهل تنهض هذه الفئة المخلصة التي يتحرق العالم الإسلامي لرؤيتها ، هذا ما نرجو وما ذلك على الله بعزيز.

أدب وتاريخ

علة اهتمام الأمم بلغاتها

حبيب أبو قيس

إن وجود أمة قائمة ذات شخصية متـمـيـزة وكـيان مستغل ، وذات تقاليد وأعراف وطبائع نفسية وسلوكية مرتبط تمام الارتباط ببقاء لغة هــذه الأمة ، بل مرتهن بحياة هذه اللغة أو موتها ومحاذٍ لمستويات ازدهارها وضعفها.

إن الأمة عندما تفقد لغتها الأصلية وتهيمن عليها لغة أخرى غير لغتها فإن ما يحدث هو أن نجد بعد فترة من الفترات أمة أخرى لها كيانـهـا وخـصـائـصـهـا التي تختلف عن تلك الأمة الأولى ، فكلاهما أمتان مختلفتان وإن كانوا في الأصل نفس الأمــة السـابقة في الموطن الجغرافي والسلالة البشرية ، وينطبق هذا إلى حد كبير على أفراد الجيل الذين يطرأ عليهم هذا التغير اللغوي ويعيشون في عصرين مختلفي اللغة ، فهؤلاء وإن كانوا جـيــلاً واحـداً ، إلا أنـهـم يـصح القول عنهم : إنهم كانوا في اللغة الأولى أناساً مختلفين عما هم عليه الآن من غير نسيان لما للبيئة الأولى ولغتها على وضعهم الجديد من تأثير على أيّ مستوى يكون.

إن اللغة ذات دلالــة وسـمة للأمة الناطقة بها ، بل : "إن لغة الأمة دليل نفسيتها وصور عقليتها ، بل هي أسارير الـوجــه في كيانها الاجتماعي الحاضر ، وفي تطورها التاريخي الغابر ، لأن وراء كل لفظة في الـمـعـجـم مـعـنـى شعرت به الأمة شعوراً عاماً ، دعاها إلى الإعراب عنه بلفظ خاص ، فوقع ذلك اللفظ في نـفـوس جمـهـورهــا موقع الرضى ، وكان بذلك من أهل الحياة ، وما معجم اللغة إلا مجموعة من المعاني الـتـي احـتاجت الأمة إلى التعبير عنها ، فاختارت لكل معنى لفظاً يدل على الجهة التي نظرت الأمة منها إلى ذلك المعنى عندما سمته باللفظ الذي اصطلحت عليه ، فلغة الأمة تتضمن تاريخ أساليب التفكير عندها من أبسط حالاته إلى أرقاها ، يعلم ذلك البصير في أبنية اللغة وتلازمها ومن له ذوق دقيق في ترتيب تسلسلها الاشتقاقي"(1).

وتزداد أهمية اللغة وضوحاً عندما نتكلم عن ما يعرف بصراع اللغات.

الصراع اللغوي :

لا يعني هذا المقال بالحديث المباشر عن صراع اللغات أو أسبابه أو نتائجه ، وحسبنا هنا أن هذا الصراع قائم ، وله وجود في لغات الأمم ذات الاحتكاك الكثير والمباشر بأمة أو ذات لغات أخرى. وتزداد فاعلية هذا الصراع وحدّته عندما تكون أمة من الأمم لها أطماع في أمة أخرى.

ولا ريب أن الصراع اللغوي ينشأ من تجاور أو معايشة لغتين واحتكاكهما ببعضهما ، وسواء أكانت اللغتان لأمتين مختلفتين أو أمة واحدة ، ومعنى هذا أن الشعوب ذات اللغة الواحدة ولكنها تتخذ لغة أخرى في بعض شئونها الحيوية كتدريس بعض العلوم وبخاصة العلمية التطبيقية كالطب والهندسة وما إليهما في المعاهد أو الجامعات كشأن بعض البلاد العربية مثلاً ، فهذه الشعوب قد فرضت على نفسها صراعاً لغوياً كان بإمكانها دفعه لو استخدمت لغتها الأصلية في هذه المعاهد أو تلك المصالح الحيوية.

ولقد عرف الناس مغبة من أخذ العلم بغير لغة أمته من قديم ، وشاعت في الناس حكمة يرددونها : إن التعليم باللغات الأخرى ينقل بعض الأفراد إلى العلم ، ولكن التعليم باللغة الوطنية ينقل كل العلم إلى الأمة.

وتقع في شراك الصراع اللغوي أيضاً بعض الشعوب التي تفتح الباب لاستقدام أناس لا يتكلمون لغة من يستقدمونهم ليباشروا كثيراً من الأعمال الحيوية التي تقف على إحيائها شركات أو مؤسسات تستخدم أعداداً غفيرة من البشر ، فهذه الأفواج البشرية ستفرض صراعاً لغوياً مع لغة من وفدوا إليهم.
ولا ريب أن نزوح العناصر الأجنبية إلى بلد ما -مع هيمنتهم لإدارة مصلحا هذا البلد مثلاً- مما يحدث هذا الصراع اللغوي كما هو مقرر عند علماء اللغة(2) ، ولعل الأمة التي استخدمت هذه العناصر التي لا تتكلم لغتها تنجو من الصراع اللغوي لو استقدمت أناساً يتكلمون بلسانها ولا غرو أن الأمم التي توقع نفسها في مثل هذا الصراع اللغوى تعرض نفسها لداء خفي وتقع في خطأ يدل على قصر النظر.
الصراع اللغوي ليس بالأمر اليسر ، بل له أبعاده وخطورته العميقة ، ولا يشعر بحقيقة هذه الخطورة عامة الناس ، بل ولا كثير من المثقفين ، وإنما يفهم ذلك اللغويون الذين يعون ذلك جيداً ، ولذلك فلا غرابة لما نسمعه من أن أبا الأسود الدؤلي هاله ما رأى من ظهور اللحن في زمانه ، لقد شعر جيداً بالأمر فعدّه من الأهوال ، وهو كما رأى -رحمه الله- ، حتى أخذ يناشد الولاة ويستحثهم إلى وضع ما يدفع به ذلك الداء النازل بهم(3).
إن الصراع اللغوي يحتاج إلى عشرات بل مئات من السنين حتى يتضح أثره وتتجلى خطورته ، إن هذا الصراع هو صراع بقاء ومحاولة هيمنة لإحدى هاتين اللغتين على الأخرى ، وهذه أمثلة يتجلى بها للقارئ آثار الصراع اللغوي ونتائجه الخطيرة الأثر في حياة الشعوب (4).
لقد نتج عن غزو الرومان لوسط أوربا وشرقها وجنوبها أن تغلبت لغتهم اللاتينية على اللغات الأصلية لفرنسا وأسبانيا وايطاليا وغيرها ، ذلك مع قلة الرومان المغيرين على هذه البلاد بالنسبة لسكانها ، وفي العصر الحديث عندما انتشر الغزو الأوربي لأطراف الأرض كوّنت دول أوربا كتلاً بشرية في مناطق هجرتها ، وكثُر أفرادها مع قوة سيطرتها كان من ذلك أن نجم عن استعمار الانجليز لأمريكا الشمالية واستراليا وبعض نواح في جنوب أفريقيا انتشار اللغة الإنجليزية في هذه الأرجاء الواسعة. ونجم عن استعمار الأسبان في أمريكا الجنوبية أن كانت الأسبانية لغة معظم دول أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية وغيرها.
وإذا كان هذا الصراع السابق مرتبطاً بالصراع السياسي ، وكانت ظروفه تختلف عن صراع آخر أقل جرأة ووسائل كتغلب اللغة العربية بفضل انتشار الإسلام على كثير من لغات الشعوب الآسيوية وعلى لغة الأقباط ولغة البربر في أفريقيا ؛ فإن هذا لا ينكر خطورة الصراع اللغوي الذي قد تحدثه عوامل أخرى غير سياسية أو حربية.

وإنما قلت عن تغلب العربية : إنه أقل جرأة ووسائل ، لأن المسلمين لم يفرضوا لغتهم ويتشددوا في ذلك في البلاد التي فتحوها ، ولم يكن لهم من الوسائل العسكرية أو العلمية الحديثة ليستخدموا كل ذلك في نشر لغتهم كما حدث في الاستعمار في العصر الحديث ، ولا ننسى أن العربية لما كانت لغة الدين كان ذلك دافعاً روحياً للشعوب الداخلة في الإسلام أن ترغب في هذه اللغة وتقبل عليها وتنشرها في بلادها.
والذي ينتج من غلبة لغة على لغة وحلولها محلها أن تذوب شخصية الأمة صاحبة اللغة المغلوبة تدريجياً في الأمة الغالبة ، وتصبح بعد أن كانت لها مقوماتها وخصائصها وهي على لغتها الأصلية ، تصبح مندمجة في أمة أخرى ، وقد فقدت ما كانت تحمله في ذاكرتها من الأفكار والمعتقدات وسائر المعاني المختلفة عما كانت تراها وتفهمها ، وتراها بعد ذلك بمنظار فكر اللغة الأخرى الذي لابد أن يغاير فكر اللغة الأولى في كثير من المعاني والتصورات.
ويأتي بعد هذه النتيجة أيضاً أن تُقطع الأمة التي استبدلت لغتها عن تراثها وأصلها ، فتنشأ أجيال هذه الأمة المقطوعة فاقدة الهوية ، لا تراث ولا انتماء ، وهذا مما ييسر احتواء هذه الأجيال وإذلالها والتحكم في توجيهها.
إن الجيوش العسكرية التي تتخذها الأمم لنشر سيطرتها وبسط سلطانها تسبقها جيوش لغوية ، تحمل هذه الجيوش لغة الأمة الغازية وتبشر بأفكارها وتذيع مبادئها وترسم شخصيتها ، ولقد كانت هذه الجيوش اللغوية عظيمة الأثر في بث فكرها والدعوة إليه بين القوم الذين وفدت إليهم ، فقبل أن تجيء الجيوش العسكرية استطاعت جيوش اللغة الأجنبية أن تهيء لها أتباعاً وأنصاراً يحملون فكرها ويدافعون عنه ويدعون إليه فوق فخرهم بهذه اللغة وميلهم إلى أهلها.
إن الحديث بلغة قوم يفضي إلى الميل إليهم والتعايش معهم -إن لم يكن هناك حصانة فكرية لمن يتحدث بها- ويقوى هذا الميل عندما تكون هذه اللغة لأمة أرقى وأقوى من لغة من يعيش معهم من أهل لغته. إن أصدق ما أدلل به على هذا الأمر ما كان من أمر الاستعمار الأوربي الحديث لكثير من أجزاء العالم وبخاصة العالم العربي ، والذي سبق إليه بغزو جيوشه اللغوية في القرن السابع عشر والثامن عشر الميلاديين(5).
لقد تركزت هذه الجيوش في المناطق الخصبة لنموها من حيث سعة الانتشار والأبعاد السياسية ، أتت جيوش اللغة إلى مصر والشام على وجه الخصوص في شكل إرساليات علمية ، اتخذت صوراً كثيرة منها المدارس والمعاهد ، ومنها الكنائس والأديرة والمصحات وغيرها.
لم تأت جحافل فرنسا وبريطانيا العسكرية إلا وللغة الفرنسية والإنجليزية في مصر والشام شأن لا يمكن تجاهله ، يتحدث بها كثير من الناس ، ولها مناطق ومصالح لا يمكن العيش فيها إلا بلسانها ، ولقد طغى الأمر في بعض الفترات

حتى كان من أفراد الأمة ومثقفيها من يستنكف عن الحديث بلغة بلاده أو التعامل بلهجة أهله ، وينظر إلى لغته وثقافة أمته بازدراء كبير ، وسمع من مثقفي الأمة العربية وعقلائها من صاح ورفع عقيرته في وجه هذه الظاهرة المزرية (6).

وأصبح من أفراد الأمة من يباهي بالثقافة الفرنسية لأنه يجيد لغتها ، وآخرون ينافحون عن الإنجليزية لأنهم يلوكونها وقد تعلّموا شيئاً من ثقافتها ، غدا كل منهم كأنما هو فرنسي أو إنجليزى وطبعوا حياتهم -في جوانبها المختلفة- بطابع الحياة الإنجليزية أو الفرنسية ، ولا شك أن ذلك يفصح للناس عن أثر اللغة البعيد الذي قد لا يظن بعضنا أنه يصل إلى نحو من هذا السلوك في حياة الإنسان.

ضرورة زيادة الاهتمام باللغة :

تأتي هذه الزيادة في أهمية اللغة العربية لارتباط هذا اللسان العربي بملة الحنيفية دين الإسلام ، ولا غرو فقد كانت خاتمة رسالات السماء إلى الأرض تفصح بلسان عربي مبين ، وقد كانت هذه الرسالة هي الدين الذي أراد الله سبحانه ظهوره وهيمنته في الأرض على سائر الملل والأديان الأخرى ، بل حذّر الله البشرية من العبودية بسواه ((ومَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ)) فكان -كما هو معلوم- أن نزل القرآن بلغة العرب وبعث الله خاتم رسله وهو عربي الجنس واللسان ، وأوحى إليه من وحيه ما هو مماثل للقرآن من السنّة ، وكان من ذلك الأصلان العظيمان لهذا الدين ، أعني القرآن الكريم والسنة النبوية ، وكلاهما بلسان العرب ولغتهم ، فكان من ذلك الأصل والمرجع والقاعدة التي يُعَوَّل عليها في فهم هذا الدين في أصوله وأحكامه ، وعلم أسراره وجزئياته ، وبخاصة عندما تضطرب المفاهيم وتقع الخلافات في شيء مما يتعلق بعلوم هذا الدين وأحكامه ، فالأصل موجود ولا مجال لبقاء النزاع ، ((فَإن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إلَى اللَّهِ والرَّسُولِ...)) ولا مراء أن بقاء هذا الدين متوقف على بقاء حياة هذين المصدرين الأساسيين ، وذهابه حاصل بفقدهما ، ومن هنا يمكن القول :

أ- إنّ أي محاولة للقضاء على اللغة العربية أو النيل منها ، على أيّ وجه من أوجه النيل المتعددة ، سواء ما استتر تحت وجه الإصلاح ، أو تظاهر بادعاء التطوير ، أو التفجير اللغوي ، أو الدعوة إلى العامية كما حدث في عصرنا الحاضر أو غير ذلك ، كل ذلك سيصل في آخر الأمر إلى مس هذين المصدرين ، ومن ثمّ القضاء عليهما أو مسخهما وتحريفهما عن الحقيقة التي جاءا عليها ، وهذا هو القضاء المبرم والهدم الحقيقي لإزالة هذا الدين من الوجود والتخطيط لاقتلاع جذوره أو قلب حقائقه.

ب- إنّ معرفة حقيقة هذا الدين والإلمام بأصوله وفروعه والوقوف على أحكامه لاتكون دقيقة وصائبة إلا بالوقوف على أصول هذا الدين في لغتها

الأصلية ، والتي جاء بها النبي الأمين -صلى الله عليه وسلم- فكما هو معلوم لأهل اللغة أن الترجمة لأي عمل إبداعي وحتى غير الإبداعي تنقص وتعجز كثيراً عن الوفاء الكامل بما يحمله الأصل من دقة في أفكاره وأساليبه وإيماءاته ، فكذلك الحالة هنا ، مع العلم أن القرآن لم يترجم إلا معانيه كما يرى ذلك علماء الإسلام ، ولا يغيب عن البال أن هذين المصدرين في الذروة العليا من الفصاحة والبيان ، وقمة الإبداع اللغوي.
ومن هنا ، من هذا الإبداع اللغوي العظيم لهذين المصدرين يتضح لنا القصور العظيم في أي ترجمة لمعانيهما أو لهما إلى لغات أخرى عن الوفاء بدلالات لغتهما العربية ، وذلك ، بلا ريب مدعاة إلى تحريف هذين الأصلين أو الوقوع في ذلك على أقل تقدير ، وتحريف الترجمة والفهم هنا هو تحريف لحكم شرعي أو استنباط فقهي ، مما قد لا يكون هو الحكم الشرعي الصائب ، أو ما جاءت به الشريعة المطهرة ، وهذا كله من نتائج الترجمة المباشرة لأي من هذين المصدرين.
أما اعتماد هذه الترجمة لهذين الأصلين عند وجودها لتقوم مقام أصلهما ومن ثم الركون إليها في استنباط أحكام الشرع والاجتهاد في استخراج الأحكام ، فهنا تكون النتائج أشد خطراً وأبعد كثيراً عن مراد الشارع وما جاء به الدين ، وبذا يظهر لنا جلياً ما ذهب إليه علماء الأمة الإسلامية -رحمهم الله- من سداد الرأي وصائب الحكمة عندما وضعوا شرط الإلمام الواسع والفهم الدقيق للغة العربية من ضمن الشروط التي لابد من توفرها في المجتهد ، والذي قد بلغ درجة عالية في علوم الشريعة وفهم دقائقها وجزئياتها ، حتى يستخرج للمسائل التي لم يقف على جواب لها ما يهديه اجتهاده إليه(7).
ولا يذهب الفهم بالقارئ هنا إلى أن المقصود رفض الترجمة أو جهل قدرها وفائدتها ، وما تدعو إليه الضرورة منها ، أو أن الإسلام لا يُقبل ممن لا ينطق اللسان العربي ، فهذا لا يعتقده مسلم ، ولكن ما أريده هو التذكير ببعض مزالق الترجمة ، وعمق الطعنة التي تصيب الأمة ودينها من جراء ذلك.
وثمة أمر آخر لا يمكن تجاهله حول أهمية اللغة العربية وهو أن تكون العربية لغة الثقافة الدينية للأمة الإسلامية ، فهي بذلك اللسان الذي يصح اجتماعهم عليه ، بعدما اجتمعوا على دين واحد ، ولا غرو أن ذيوع اللغة العربية في الأمة الإسلامية كبير ويبشر بالمزيد ، بل إنه كان لسان كثير من الأمم الإسلامية قبل أن تحيق بها مؤامرات أعداء الإسلام ، والتي فرقت بين هذه الأمم في اللغة والثقافة حتى تصل إلى تفريق دين هذه الأمم ، ومتى تحقق انتشار اللسان العربي بدرجة أكبر في الأمة الإسلامية كان من أعظم العناصر وآكد الدعائم التي تحيا بها الوحدة الإسلامية وتزدهر ، وتتذلل في سبيلها كثير من العقبات والعراقيل التي منيت بها الأمة الإسلامية.

الهوامش :

1- مجلة الزهراء المجلد الأول سنة 1343 ، ص 66.
2- انظر : علم اللغة ، د. علي عبد الواحد وافي / 229 ، ط دار نهضة مصر.
3- انظر : طبقات النحويين واللغويين للزبيدي / 23.
4- راجع لمزيد من ذلك : علم اللغة ، د. علي عبد الواحد وافي / 70 232.
5- انظر على سبيل المثال : الحركات الفكرية في عصر النهضة في فلسطين والأردن ، علي المحافظة / 37.
6- انظر مجلة الرسالة للزيات ، السنة الرابعة ، ص 243 - 244.
7- راجع : أصول الفقه ، محمد أبو زهرة ، ص 302 ، ط. دار الفكر العربي القاهرة.

الجهاد الأفغاني
أسطورة الإباء والفداء

شعر : محمد أمين أبو بكر

زَحَـفَ الأُبـاةُ إلى الوغـى فاستأصـلـوا ... ظُـلَـمَ الـعـدوِّ وأحـرقـوا الطغيانا
ومـواكــبُ الأبـطـالِ في تـلـك الــذُّرا ... فـاضـت فِـداءً يـلـهـبَ الـمـيدانا
خاضوا غمار الموت في وهج الجحيـ ... ـم فـمـزقـوا في الـسـاحة الأوثانا
هـذي الـهـدايـةُ في شِـعـاب جبالِهـم ... إخـضـوضَـرت وأضـاءت الأزمانا
حـمـلـوا لـواء الله وانــطــلــقـوا بـــه ... نـحـو الـجـهـاد فزلزلوا الكفرانا
جـازوا بـراكـيـنـا تـزمـجر في الوغـى ... كـانـت لـهـم يـوم اللـقـا ألـحانا
حـتـى ثـوى "لـيـنـين" في ظُلَمِ الخـنا ... يـتـــجــــرع الآلام والـخـذلانــا
ومـضـى "لكارل" الـكـفـر يشكو عـنده ... بـعـد اللـقـــاء مـخـازيـاً وهــوانـا
مـن بـعـدمـا نـفـروا يـكـل ذئـابــهـم ... عَـــلَّ الـذئـــاب تـمـزق الـقـــرآنـا
وجـحـافــل الـطـغـيـان في تلك الـربـا ... بـلـظـى الـقـنـابل تـلـهـم الأفنانا
والـســادرون على وسـائــد نـومـهــم ... عـشـقـوا حـكـايـات الهوان زمانا
حـتـى غـدت دور الـنـيـام مـقــابــراً ... مـــنــكـوبـةً وثـيـابـهـم أكـفــانــا
ضـاعــوا وطـيـر الذلِّ في حـلق فوقهم ... أكـل الـنـؤوم وأغـضـب اليـقـظـانا
لـــكـــن آساد الـهـدايـة فــجــــروا ... لـهـب الجـهـاد فجـددوا الإيمانا
أبـطــالــهـــا بـيـن الـصـلابة والـتقى ... شـبـوا اللهيب وأضحكوا البركانا
قـرعـوا طـبـول الحق في درب الهدى ... فـوق الجـبال فـروّعـوا الـقـرصـانـا
أحـيـوا بـبـذلـهـم مـسـيـرة فاتح (*) ... دفـن الـمـجـوس وكـفَّـن الطـغـيانا
قـحـمـت أسـود الله تـحـت لـوائـــه ... ســود المـخـاطـر تـنـصـر الـفـرقانا
لـم تـنـحـن الـهـامـاتُ فـوق هضابهم ... رغـم اشـتـداد الحادثــات زمـانــا
فـالـزهـرة الـبـيـضاء أضحت خنجراً ... يُـصـلـي الـغـزاة مـذلــة وهــــوانـا
والـقـمـة الـشـمـاءُ عـادت قــلـــعــةً ... تـردي الـحـقـودَ وتـقـذف الـنـيرانا

والـوردة الـحـمـراءُ فـي وديـــانـهـم قـذفـت جـحـيـمـاً يـصـهـر الذؤبانا
أمـا الـبـراعـم فـي ربــاهــا إنـــهـــا أضـحـت قـنـابـلَ تـمـلأ الـمـيـدانـــا
لـن يـسـتـمـر الـكـفـُر رغـم عــنـــاده فـي دار قـــومٍ بـايـــعـــوا الـرحـمـانا
وهـم - وقـــد رفـعـوا لـواء مـحـمـدٍ - كـتـبـوا سـطـــوراً تـذهـل الأكـوانـا

الهوامش:

(*) إشارة إلى السلطان محمود الغزنوي فاتح الهند من أفغانستان .

من أصنام الحداثة
يوسف الخال

د. وليد الطويرقي

ولد يوسف الخال في طرابلس عام 1917 ، وتخرج كل من الجامعة الأمريكية في بيروت عام 1944 ، وسافر إلى الولايات المتحدة ، حيث عمل في الأمم المتحدة ، وعاد إلى لبنان ليعمل في الجامعة الأميركية ، وأسس مجلة (شعر) عام 1957 هو وشرذمة من أصحابه ، وفي عام 1967 انشئت دار النهار للنشر فانضم إليها مديراً للتحرير.

من مؤلفاته :

- ديوان الحرية 1945.
- مسرحية هيروديا.
- ديوان البئر المهجور 1958.
- قصائد في الأربعين 1960.
- الحداثة في الشعر 1978.
- علامات الأزمنة.

موقف يوسف الخال من اللغة العربية :

يدعو يوسف الخال إلى اعتماد لغة الكلام (العامية) لغة أدبية لأنها لغة عربية متطورة من اللهجات "الجاهلية" التي رافقت الفتح العربي ، وفي طليعتها لهجة قريش ، التي جعلها القرآن لغة الفتح ، ونموذجاً للغة العربية. [أسئلة الشعر / 49].

ويدافع عن رأيه هذا بأسلوب لا يخـلـو مــن مزايدة وذر للرماد في العيون ،فيقول إن عدم الأخذ بلغة الكلام هو (من وحي المستعمرين وإسرائيل في الطليعة فهم يشجعون على التعلق بالفصحى لتعميق الازدواجية في الفكر الـعـربـي مـن جـهـة ، ولإبـقـاء العربي مشروطاً إلى حقائق ضبابية لا صلة لها بواقعه ، من جهة أخرى"(1) [أسئلة الشعر / 150].

ولسنا بصدد الرد على هذه الحجج الباطلة ، بل القصد هو عرض أفكـار هذا "المبشر" وإلا فأبلغ رد عملي عليه هو اعترافه نفسه بفشل مشروعه في مجلة "شعر" حـيـث عـلـل توقفها باصطدامها بجدار اللغة [جريدة الرياض، مقال لجهاد فاضل، بتاريخ 30/11/1407].

وممـا يـدل على سوء دخيلته ، وبعده عن حقيقة ما يتباكى عليه من حرص على نـهـضـة العرب وتقدمهم أنه كان يدعو لتأجيل كل نضال ضد إسرائيل حتى يغير العرب لغتهم من فصحى إلى محلية ، فقد كتب في أواخر أيامه : "اللغة أكـبـر مـشـكـلـة يـواجـهـوهـا العرب ، هي أكبر من مشكلة إسرائيل ، لأن مشكلة إسرائيل مربوطة بمشكلة اللغة ، ومــن دون حل مشكلة اللغة باعتماد المحلية ما بيتحرر العقل العربي ، وما بيتقدم الإنسان الـعـربي ، حتى يتغلب على مشكلة إسرائيل" (كذا) [النهار العربي والدولي 25 / 1 / 1981].

وعبارة "التغلب على مشكلة إسرائيل" حمّالة أوجــه وهـي مـشكلة وملبسة ، شأن أسلوب المبشرين الثقيل الخبيث ، فمعناها غير معنى "التغلب على إسرائيل" فالتغلب على المشكلة يكــون إما بتجاهلها ، وإما بالتعايش معها ، وإما بالمصالحة مـع الـطـرف الآخـر ، فــأي المعاني يريده يوسف الخال.

موقف يوسف الخال من التراث العربي :

إن مـوقـف يـوسـف الخــال مـن التراث العربي يوضحه صديقه أدونيس في كتابه (قصائد مختارة ص 240) فيقول :

"التراث العربي عنده هو التراث الإنساني كله... إنه التراث الذي تكوّن على الأرض منذ القدم وتفاعل عبر المتوسط مع التراثات التي تشكل بجملتها الحضارة الحديثة... وإن كان يوسف الخال يصدر في شعره عن المسيحية العربية أو الوثنية العربية أكثر مما يصدر عن الإسلامية العربية فلا يعني ذلك أن شعره غير عربي".

وهذا يوضح أن موقفه من التراث العربي موقف انتقائي ليس بمعنى انتقاء النافع الذي أجمع الناس على نفعه ، ورفض الباطل الذي ثبت بطلانه ، بل انتقاء ما يوافق أفكاره ولو خالف أفكار الأغلبية ، وهو يوضح ذلك فيقول : "فأنا معني جداً بتراثي العربي ، الذي لا تراث لي سواه ، وإنما أريد أن أغنيه وأعززه وأنقده وأفرزه ، وأرفض ما أرفض منه ، وأقبل ما أقبل ، وذلك لجعله أساساً حديثاً صالحاً لبناء حياة أفضل لنا ولأولادنا" [أسئلة الشعر / 150].

وعلى هذا فهو مع -اعتقاده بنفسه أنه فوق التراث برمته ، يحكم عليه كما يشاء ، ويشرف عليه بنظرته المملوءة بالغرور والعجرفة والادعاء ، ويعطي نفسه الحق في رفض أي شيء وإثبات أي شيء ؛ فيبرز فكر الشذاذ من الذين يسميهم فلاسفة ومفكرين ، ويتجاهل فكر غيرهم الذي لا يتفق مع عقيدته النصرانية- يخلط خلطاً شنيعاً ومقصوداً في تحديده لمعنى التراث ،

كي يستبعد أي أثر ذي قيمة للإسلام في هذا التراث عن طريق إبراز بقايا الوثنية العربية والمسيحية العربية والمؤثرات الآتية عبر المتوسط !!.

اعتزازه بنصرانيته :

يصرح يوسف الخال بأنه سعيد أن يلقى وجه خالقه وفي يده اليمنى شعرية غيرت إلى الأفضل مسيرة الشعر العربي؛ وفي اليد اليسرى ترجمة عربية حديثة للكتاب المقدس أتاحت للألوف المؤلفة من قرائه أن يخترقوا قدر الإمكان في المرحلة الراهنة جسد اللغة العربية القديمة الميت (كذا) إلى روح مضمونه الحي.

ويقول أيضاً :

"إنـنـي كـشـاعــر مـسـيـحي، والمسيحية جزء من تراثي، إن لم تكن في جوهره وصميمه، والمسيحية مرتبطة ارتباطاً كيانياً عميقاً مع التراث الذي سبق التاريخ العربي في هذه البقعة من الأرض" [أسئلة الشعر / 150].

إن عــبــارتـه السابقة حول "اختراق جسد اللغة العربية الميت"، تشرح نظرته إلى التراث الـعــربي، وتوضح بجلاء أن ما يعده تراثاً هو كل شيء مخالف لعقيدة الإسلام سواء أكان أفكاراً منحرفة كانت تبرز بين الفينة والفينة عند بعض الفلاسفة أو المتصوفة ، أو ما كان إشارة بعيدة أو قريبة إلى الفكر النصراني ، فاللغة العربية كائن ميت ، فإذا كتب بها شيء من أفكار ابن سينا والسهروردي أو الكتاب المقدس تحولت إلى جسد حي !.

على أنــنــا لا نــلــوم يوسف الخال هنا على مسيحيته وحبه لها، ولكننا ننعى عليه هو وأنصاره حقدهم على ثقافة غيرهم وعيبهم لها ، وضيق صدورهم إذا رأوا أثراً إسلامياً -ولو باهتاً- في آثار غيرهم ، فينقضُّون عليه بالشتم والقذف بالرجعية والتخلف والتعصب ، ما الــذي يـجـعــل الإســلام والـتـمسك به تخلفاً ورجعية، بينما الاعتزاز بالتوراة والإنجيل والأساطير اليونانية تقدماً وتحضراً وحداثة!!.

وكـذلـك ننــبه إلى اعتزاز أهل الباطل بباطلهم دون حياء ولا خجل، بينما نرى كثيراً من مـدعــي الـحـداثـة يخجلون من ذكر دينهم وكتابهم ((وإذَا ذُكِرَ اللَّهُ وحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ)).

"يتبع"

1- لــقــد أصـــبــح هــذا دأب كل من يتخذ موقفاً مناوئاً من الأسس الثقافية للمسلمين، فـبـالإضـافة إلى الأسلـوب الملــتـوي في الاسـتـدلال والاحـتجاج (الذي هو أسلوب المبشرين وتلاميذهم) يختم أدلته بأن مـا يخالف ذلك يعد خدمة للاستعمار والصهيونية وإسرائيل ، وهو كما ترى أسلوب دعـائـي رخـيـص إن جاز في الإذاعات والجرائد فلا يجوز على أهل العلم وأصحاب الفكر.

حقيقة دعوة ابن تومرت

د. حمد بن صالح السحيباني

تمهيد :

مني العالم الإسلامي منذ عصر صدر الإسلام حتى عصرنا الحاضر بظهور العديد من الدعوات والدول التي لبست ثوب الإسلام ، واتخذته شعاراً ظاهراً لتحقيق مطامح ومطامع خفية تهدف إلى النيل من الإسلام وحرب المسلمين بشعار الاسلام واسمه ، وما دعوات الرافضة ، والقرامطة ، والعبيديين ، والموحدين إلا ضرباً لتلك الدعوات والدول على مدار التاريخ الإسلامي.

وإذا كانت الدعوات والدول الثلاث الأولى قد كتب عنها كثير من المؤرخين والكتاب المحدثين ، فأبانوا حقائقها ، وكشفوا للناس زيفها وبطلانها ؛ فإن دعوة الموحدين -التي أسسها ابن تومرت- كان نصيبها من الدراسات قليل(1) ، ولهذا خفي على كثير من المسلمين حقيقتها ، لاسيما وقد سماها مؤسسها بدعوة الموحدين ، فظنوا بها خيراً ، ونسبوها إلى الصلاح والاستقامة(2) ، علماً بأنها كانت خلاف ذلك كما يوحي بهذا تراثها الفكري وتاريخ مؤسسها وداعيها الأول محمد بن تومرت ، وهذا ما دفعني إلى دراسة هذه الدعوة والتعرف على أسسها العقدية لبيان حقيقتها وكشف زيفها ، معتمداً في ذلك بعد الله -سبحانه وتعالى- على أقوال ابن تومرت وأفعاله ، وما دونه لنا المؤرخون المعاصرون لتلك الدعوة ، حيث إن مؤلفات ابن تومرت وتلاميذه من أمثال البيدق ، وابن القطان ، وابن صاحب الصلاة موجودة بين أيدينا ، إضافة إلى أن الفترة التي ظهرت فيها دعوة الموحدين حظيت بوجود العديد من المؤرخين الذين عاصروا تلك الدعوة أو عاشوا قريباً منها ، فكتبوا عنها ، وهم شهود عيان لما كتبوا من أمثال المراكشي وابن خلدون ، وابن أبي زرع ، وغيرهم.

وسأنهج في دراستي لدعوة الموحدين أن أقوم أولاً بتتبع نشأة تلك الدعوة وبيان المراحل والأطوار التي مرت بها ، وموقف الناس منها ، ثم أخلص بعد ذلك إلى بيان أهم الأسس العقدية التي قامت عليها ، ومدى قربها أو بعدها من الأسس الإسلامية الصحيحة.

الاتجاه الفكري للدول الإسلامية التي قامت في شمال بلاد المغرب :

لعل من المناسب بادئ ذي بدء أن نبين الاتجاه الفكري للدول الإسلامية التي ظهرت في بلاد المغرب الإسلامي -الشمال الأفريقي- منذ القرن الثاني وحتى القرن الخامس لنعرف مكان دولة الموحدين بينها ، والأرضية التي ظهرت فيها تلك الدعوة وأصبح لها كيان سياسي يحميها ، ذلك أنه بعد أن ضعفت قبضة الخلافة الإسلامية بالمشرق على الشمال الأفريقي ظهر هناك

العديد من الدول الإسلامية التي أعلن بعضها استقلالها عنها ، بينما بقي البعض منها موالياً لها ولاًء صورياً ، وقد تباينت اتجاهات ومشارب تلك الدول حيث انقسمت إلى أربعة اتجاهات رئيسة هي :
1- الاتجاه السني ويمثله دولتا الأغالبة والمرابطين ، والدولة الزيرية الصنهاجية في آخر عمرها.
2- الاتجاه الخارجي ويمثله دولتا الرستميين والمدراريين (3).
3- الاتجاه الرافضي ، ويمثله دولة العبيديين.
4- الاتجاه الاعتزالي ويمثله دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى.
وبالإضافة إلـى هــذه الاتـجـاهــات الـرئيسة فقد كان هناك اتجاه خامس هو اتجاه دولة الموحدين والذي كان يجمع بين هذه الاتجاهات وغيرها من الاتجاهات الفكرية الأخرى ، إذ أن محمد بن تومرت مؤسس هذه الدولة استقى من جميع هذه المشارب بل زاد عليها ما يرى أنه يخدم ميوله وأهدافه ، ولهذا جاءت الأسس الفكرية لهذه الدولة خليطاً مضطرباً كما سنرى.

الأسس الفكرية لدعوة ابن تومرت :

لما كانت الأسس الفكرية -العقدية- لكل دولـة أو جـمـاعـة أو فــرد هـي الموجه الحقيقي لـحـركـاتـهـا وسكناتها فإن دراسة تلك الأسس مطلب ملح قبل دراسة تاريـخ الـدولــة أو الجماعة أو الأفراد.
ودولة الموحدين أول من وضع أسسها الفكرية هو محمد بن عبد الله ابن تومرت الصنهاجي ، ولد في الـثـلـث الأخير من القرن الخامس الهجري ببلاد المغرب الأقصى ، وقد اختلف المؤرخون في تحديد سنة مولده(4).
ادعى ابن تـومـرت النسب القرشي ، وأنه من سلالة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وقد أقر بعض المؤرخـيـن هذا الادعاء(5) ، لكن طائفة أخرى من المؤرخين أنكرت هذا الادعاء وقالت إن ابن تومرت دعيّ فيه فهو من هرغة إحدى قبائل المصامدة البربرية حيث عرف بمحمد بن تومرت الهرغي(6) كما قال بهذا الرأي من الكتاب المحدثين محمد عبد الله عنان -رحمه الله- ، إذ يرى أن هذا الادعاء ما هو إلا نحلة باطلة وثوب مستعار قصد من ورائها ابن تومرت أن يدعم بها صفة المهدي التي انتحلها أيضاً شعاراً لإمامته ورياسته(7).
ولا يشك المتتبع لتاريخ ابن تومرت في كذبه بهذا الادعاء وأنه إنما قال به ليتخذه جسراً يصل عن طريقه لأغراضه وطموحاته ، ويتأكد هذا إذا علمنا أن معظم المؤرخين الذين أثبتوا له هذا النسب إنما هم من تلاميذه ، أو من مؤرخي الدولة الموحدية الذين سجلوا تاريخها بوحي من سلاطينها وأمرائها ، وبتأثير من نزعتهم العقدية الباطلة.
حفظ ابن تومرت القرآن الكريم ودرس بعض العلوم الإسلامية في بلاد المغرب في صباه ، ثم ارتحل سنة 501 هـ إلى الأندلس ، ثم إلى بلاد

المشرق حيث تنقل بين عواصمه الثلاث (بغداد) و (مكة) و (القاهرة) (8) ، وقد أفاد من هذه الرحلة علماً غزيراً لاسيما في العلوم العقلية واللسانية (9) ، حيث أعانه على ذلك ذكاؤه المفرط ومثابرته وهمته العالية(10).

بداية ظهور ابن تومرت :

كان وضع معظم بلدان العالم الإسلامي في مطلع القرن السادس الهجرى مضطرباً فالخلافة العباسية بالمشرق قد دب فيها الضعف ، كما أن دولة العبيديين بمصر قد كرهها الناس بسبب غلو حكامها وأعمالهم العدائية ضد الإسلام والمسلمين ، أما بلاد المغرب والأندلس فتخضع لحكم دولة المرابطين ، وكانت قبضتها قوية واتجاهها اتجاه سني حيث كان يتولى أمرها آنذاك السلطان علي بن يوسف بن تاشفين (500 - 537 هـ) وكان سلفياً ورعاً مجاهداً وهذا ما جعل الطريق صعباً أمام ابن تومرت الذي بدأ ظهوره في بلاد المرابطين ، ولهذا جاءت سهامه مسلطة ضد هذه الدولة وسلطانها ، فبعد أن وصل إلى المغرب سنة 505هـ بدأ يدعو الناس إليه(11) ، ولما كانت دعوته تقوم على أسس عقدية يشوبها كثير من الغبش والانحراف فإنه لم يجرؤ في بادئ الأمر على إظهارها للناس صراحة ، ولهذا انتحل صفه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث يذكر البيذق(12) -أحد تلاميذ ابن تومرت- أنه نهج هذا الأسلوب في بادئ الأمر ، وأنه كان إذا خشي بطشاً خلط في كلامه حتى ينسب إلى الجنون (13) ، وهذا منهج كثير من الفرق الباطنية حيث يلجأون إلى العبارات الموهية حتى لا تنكشف عقائدهم.

ظل ابن تومرت مدة عشر سنوات (505 - 515 هـ) ينتقل بين أقاليم ومدن المغرب الأقصى لعرض دعوته على الناس ونشر أفكاره بينهم فكثر أنصاره ومؤيدوه وذاع صيته بينهم وتعارف الناس به (14) ، فأضحى خطره يهدد كيان دولة المرابطين ، حينئذ استدعاه السلطان علي بن يوسف وسأله : ما هذا الذي بلغنا عنك؟ فأجابه ابن تومرت في قوة بأنه يطلب الآخرة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وأن هذه مسؤولية الحاكم قبل غيره ، ويذكر بعض المؤرخين أن السلطان علي بن يوسف حين سمع ذلك أطرق برأسه إلى الأرض ملياً ثم أمر الفقهاء بمناظرته واختباره (15) ، فلما ناظروه تبين لهم حقيقة ما يحمله ابن تومرت من آراء ومعتقدات تخالف طريقة أهل السنة والجماعة ، فأوصوا السلطان بسجنه سداً للذريعة ودرءاً للفتنة ، لكن أحد المرابطين شفع فيه فأمر السلطان بإخراجه من مراكش ولم يسجنه (16).

أدرك ابن تومرت بعد ذلك المخاطر التي تهدده من قبل المرابطين ، لاسيما أن دعوته قد وصلت إلى مرحلة الظهور والجهر بالأهداف ، فقرر الانتقال الى بلاد السوس مسقط رأسه حيث نزل على قومه وقبيلته مصمودة سنة515 هـ وذلك لضمان الحماية اللازمة لدعوته (17).

وفي بلاد السوس أسس ابن تومرت مسجداً يجتمع به مع تلاميذه وزعماء قبيلته حيث التف حوله الكثير من المؤيدين والأنصار فاختار منهم نخبة لتكون قاعدة لدعوته حيث شرع بتدريسهم على شكل حلقات ودروس منظمة ومن خلال تلك الدروس بث أفكاره بين تلاميذه ، وأخذ يعدهم إعداداً خاصاً ، فألف لهم كتاباً سماه كتاب التوحيد بلسانهم البربري قسمه إلى سبعة أحزاب عدد أيام الأسبوع ، وأمرهم بقراءة حزب واحد منه في كل يوم بعد صلاة الصبح (18) ، ويحتوي هذا الكتاب على معظم أفكار ابن تومرت والأسس العقدية لدعوته ، ولهذا يذكر ابن أبي زرع أن ابن تومرت قال لتلاميذه : من لا يحفظ هذا (التوحيد) فليس بمؤمن وإنما هو كافر لا تجوز إمامته ولا تؤكل ذبيحته فصار هذا التوحيد عند المصامدة كالقرآن العزيز"(19).
وهكذا كفّر ابن تومرت من لا يتعلم مبادئ دعوته ويعمل بها ولاشك أن هذا الشطط والمغالاة جعلت الكثير من اتباعه ينصرفون عن الأسس الإسلامية الصحيحة إلى ما يقول به ويدعو إليه فغالوا في تعظيمه لدرجة العبودية -والعياذ بالله-.
لما شعر ابن تومرت بقبول دعوته في أوساط الهرغيين رأي توسيع إطارها المكاني فاختار جماعة من أصحابه أرسلهم إلى القبائل القريبة من بلاد السوس لاستمالة تلك القبائل للدعوة الموحدية (20) ، وبعد أن اطمأن إلى قوة دعوته وإلى تمكنه من قلوب أصحابه أخذ يشوقهم إلى (المهدي المنتظر) "... فلما قرر في نفوسهم فضيلة المهدي ونسبه ونعته ، ادعى ذلك لنفسه وقال أنا محمد بن عبد الله... ورفع نسبه إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وصرح بدعوى العصمة لنفسه وأنه المهدي وبسط يده فبايعوه.. ثم صنف لهم تصانيف في العلم منها كتاب سماه (أعز ما يطلب).."(21).
كانت هذه هي خطوات ابن تومرت في تمهيد الطريق وجهوده في تأسيس قواعد البناء قبل أن يدعو إلى مبايعته بالإمامة ويعلن قيام الدولة الموحدية ، وقد أعان ابن تومرت على اجتذاب المؤيدين في بلاد السوس ما كان يتمتع به أهلها من سذاجة وجهالة وادعاءه النسب القرشي فضلاً عما يتمتع به ابن تومرت من ذكاء وعلم وقدرة على التأثير والتنظيم (22).

مبايعة ابن تومرت بالإمامة :

لما اطمئن ابن تومرت إلى قاعدته وحسن ولائهم له دعا الناس إلى مبايعته حيث يذكر ابن القطان أنه قام خطيباً فيهم ومما جاء في خطبته :
"...الحمد لله الفعال لما يريد ، القاضي بما يشاء ، لا مرد لأمره ولا معقب لحكمه ، وصلى الله على سيدنا محمد المبشر بالمهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً ، يبعثه الله إذا نسخ الحق بالباطل ، وأزيل العدل بالجور ، مكانه بالمغرب الأقصى واسمه اسم النبي ، ونسبه نسب النبي.."(23).

وبعد هذه الخطبة قام الناس فبايعوه بالإمامة وكان ذلك في الخامس عشر من شهر رمضان سنة 515هـ(24).
وهكذا نرى كيف أن ابن تومرت لم يجرؤ على إعلان ذلك الشطط في دعوته إلا بعد أن وثق من ولاء عامة الناس له ، وفي هذا يقول ابن خلدون : »ولما كملت بيعته لقبوه بالمهدي وكان لقبه قبلها الإمام« (25).
وقد جاءت مبايعة ابن تومرت إماماً للموحدين قرب مراكش دون تصد ومقاومة من قبل المرابطين أصحاب السلطة الشرعية هناك ، بل ودون إحساسهم بالخطر الداهم قرب عاصمتهم شاهداً على ضعف دولة المرابطين وقتذاك ، وعلى النجاح الكبير الذي حققه ابن تومرت لدعوته الناشئة.
أمضى ابن تومرت السنوات الثلاث التالية لسنة مبايعته في جهد متواصل وعمل دؤوب لدعوته حيث خاطب القبائل القريبة منه يدعوهم إلى الدخول في طاعته ، ونبذ طاعة المرابطين ، فاستجاب له بعض القبائل(26) ، ولكي يوفر مزيداً من الأمن لدولته ودعوته غادر جبل ايجليز في بلاد السوس سنة 518 هـ إلى قرية تينملل ببلاد هرغة (27) ، وقد جاء اختياره لها بسبب حصانتها لوقوعها على ربوة عالية في سفح جبل درن ، ولا يمكن الوصول إليها الا من طريق واحد لا يتسع لغير فارس واحد ، ويصف ابن القطان منعة تينملل بقوله : "يسد خللها أقل عصبة من الناس" (28).
ويبدو أيضاً أن ابن تومرت أراد من ذهابه إلى تينملل الابتعاد عن زعماء قبيلته ليتوقى مغبة تدخلهم في شئون دولته الناشئة لا سيما وهو في مرحلة وضع الأسس الأولى لها.
أصبحت تينملل عاصمة لدولة الموحدين الناشئة حيث قسّم ابن تومرت أراضيها وديارها على أصحابه الموحدين ليسكنوا فيها ، كما بنى مسجداً وداراً له بينهم (29) ، وفي تينملل وضعت أسس دولة الموحدين ومنها انطلقت جيوشهم ، كما وزع ابن تومرت مسئوليات الدولة ووظائفها على أصحابه الموحدين حسب ولائهم لطاعته (30) ، ويذكر المراكشي أن ابن تومرت بعد أن كثر لديه المؤيدون والأنصار سماهم بالمؤمنين وقال لهم : "ما على وجه الأرض من يؤمن إيمانكم ، وأنتم العصابة المعنيون بقوله -عليه الصلاة والسلام- : "لا تزال(*) طائفة بالمغرب ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله" وأنتم الذين يفتح الله بكم فارس والروم ، ويقتل الدجال ، ومنكم الأمير الذي يصلي بعيسى بن مريم ، ولا يزال الأمر فيكم إلى قيامة الساعة... فزادت فتنة القوم به وأظهروا له شدة الطاعة" (31) !!.
هكذا تجرأ ابن تومرت على الله ورسوله فحرف الأحاديث الصحيحة وأقحم دلالتها ليضل الناس فيلتفوا حوله ، وقد خفيت هذه الأباطيل على قومه في بادئ الأمر فأقبلوا على دعوته وتفانوا في خدمتها لاعتقادهم بأنه هو المهدي ، حتى قال قائلهم حينا وقف على قبر ابن تومرت بعد مماته :

سلام على قبر الإمام المجدد ومحيي علوم الدين بعد مماتها أتتنا به البشرى
بأن يملأ الدنا سلالة خير العالمين محمد ومظهر أسرار الكتاب المسدد
بقسط وعدل في الأنام مخلد (32)

هكذا أصبحت بلاد السوس بالمغرب الأقصى تغلي حماساً وولاءً لدعوة ابن تومرت لكنه توفي قبل أن يُحكم البناء ويُوسع إطار دعوته ، فقد وافاه الأجل في شهر رمضان 524 هـ وكانت مدة حكمه حوالي تسع سنوات(33) ، وقد ترك حرباً مشتعلة بين أتباعه والمرابطين وكل من خالف دعوة الموحدين في أرض المغرب الأقصى ، كما خلف أتباعاً مؤمنين بدعوته محاربين لأجلها .

الهوامش :

1- لعل من أهم الكتب التي عنيت برصد حركة الرافضة والباطنية والعبيديين وغيرها. كتاب وجاء دور المجوس لمؤلفة عبد الله محمد الغريب ، إلا أن هذا الكتاب على الرغم من ذكره لكثير من الدعوات الضالة فقد أغفل الموحدين.

2- على الرغم من الهفوات الواضحة التي وقع فيها محمد بن تومرت مؤسس دعوة الموحدين فإن كثيراً من الكتاب القدامى والمحدثين قد انطلت عليهم حقيقة دعوة الموحدين فظنوا بها خيراً ، فمن المؤرخين القدامى ابن خلدون ، حيث حصر هفوات ابن تومرت بزلة واحدة هي موافقته للرافضة في القول بعصمة الإمام حيث قال : "ولم يحفظ عنه فلتة في البدعة إلا ما كان من وفاقه الإمامية من الشيعة في القول بالإمام المعصوم"(ابن خلدون : العبر 11 / 471-472).

أما من الكتاب المحدثين فمحمد سعيد العريان ، ومحمد العربي العلمي محققا كتاب المعجب للمراكشي حيث ذكرا أن كثيراً من المؤرخين المشارقة قد أنكروا ما جاء به ابن تومرت ونسبوه إلى الدجل والشعوذة ، كما تعقبوا دعاويه بالتفنيد والإبطال وقد عزا الكاتبان هذا الموقف من قبل هؤلاء المؤرخين المشارقة إلى سبب رئيسي هو "..لأن المغرب الإسلامي.. لم يكن يعترف بشيء من الولاء للخليفة العباسي في بغداد ، ولم يدع له يوماً على منبر من منابر المغرب لا في الأندلس ولا في الشاطئ الأفريقي.. فما ملك يخلعون في سبيله طاعة الخليفة ويخرجون عن الولاء له ؛ ومن ثم كان رأي مؤرخيهم في شيخ الموحدين.. على أن الرأي مهما يختلف في شأن محمد بن تومرت فمما لاشك فيه أنه رجل من أهل الإيمان والفطنة ، كان له رأي في سياسة الدولة الإسلامية يستند إلى أساس من الدين.." (المراكشي : المعجب ص 276 ، حاشية رقم 2).

هكذا كانت نظرة هذين الكاتبين لدعوة ابن تومرت وهي بلا شك نظرة سطحية حيث فسراها تفسيراً سياسياً مع أنها كانت تستند إلى أسس عقدية بحتة.

3- لما تولي في دولة بني مدرار محمد بن الفتح بن مدرار أعلن في سنة 342 هـ اعتناقه للمذهب المالكي . وقد انتهت هذه الدولة في عهده سنة 349 هـ حينما قضى عليها العبيديون .
4- انظر في تفصيلات هذا الخلاف كلاً من : المراكشي : المعجب / 245 ، ابن الأثير : الكامل 10 / 578 ، ابن خلكان : وفيات الأعيان 5 / 53 ، ابن السراج : الحلل السندسية 1 / 985 .
5- من هؤلاء المؤرخين أبو بكر الصنهاجي المعروف بالبيذق في كتابة المقتبس من كتاب الأنساب ، ص 12 ، ابن القطان : نظم الجمال ، ص 34 ، الزركشي : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، ص 12 ، ابن خلدون : العبر 6 / 226 .
6- ممن قال بهذا الرأي ابن أبي زرع الفاسي في كتابه الأنيس المطرب ، ص 172 ، ابن عذارى : البيان المغرب 4 / 68 ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب 4 / 70 .
7- عصر المرابطين والموحدين / 160 .
8- المراكشي : المعجب / 179 ، الزركشي : تاريخ الدولتين / 4 .
9- ابن خلكان : وفيات الأعيان 5/ 46 ، ابن الأثير : الكامل 10 / 570 .
10- عبد الله علام : الدولة الموحدية في عهد عبد المؤمن / 51 ، سعد زغلول عبد الحميد : محمد ابن تومرت / 13 .
11- الزركشي : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية / 4 .
12- البيذق : هو أبو بكر بن علي الصنهاجي الشهير بالبيذق (ت ق 6) أحد تلاميذ ابن تومرت وأنصار دعوته ، ألف كتاب (أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين) وهذا الكتاب مهم في تاريخ الدولة الموحدية لأن مؤلفه شاهد عيان لكل ما كتب كما أن مؤلفه كشف جوانب غامضة في شخصية ابن تومرت ودعوته .
13- أخبار المهدي بن تومرت / 22 .
14- ابن أبي زرع : الأنيس المطرب / 174 .
15- الزركشي : تاريخ الدولتين / 5 ، ابن خلدون : العبر 6 / 228 ، ابن قنفذ : الذهبي : العبر 4 / 59 .
16- المراكشي : العجب / 187 ، محمد السلماني : اللسان المعرب / 183 (مخطوط) .
17- ابن خلدون : العبر 6 / 228 ، ابن قنفذ : مبادئ الدولة الحفصية / 100 ، سعد زغلول عبد الحميد : محمد بن تومرت / 21.
18- ابن القطان : نظم الجمان / 46 .
19- الأنيس المطرب / 177 .
20- ابن أبي زرع : الأنيس المطرب / 176 ، المراكشي : المعجب / 254 .

21- المراكشي : المعجب / 254 .
22- ابن خلدون : العبر 6 / 228 ، سعد زغلول عبد الحميد : محمد بن تومرت / 27 .
23- نظم الجمان / 75 .
24- ابن أبي زرع : الأنيس المطرب / 176 ، ابن قنفذ : الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية / 100 .
25- العبر 6/ 228
26- المراكشي : المعجب / 254 ، ابن أبي زرع : الأنيس المطرب / 176 .
27- ابن خلدون : العبر 6 / 228 ، الزركشي : تاريخ الدولتين / 6 .
28- نظم الجمان / 75 .
29- ابن القطان : نظم الجمان / 75 ، ابن خلدون : العبر 6 / 228 .
30- المصدرين السابقين .
*- يلاحظ هنا أن ابن تومرت قد حرف الأحاديث الواردة في الغربة فأضاف إلى نصوصها ما يرى أنه يخدم فكرته وسنعالج هذا الخطأ في آخر هذا البحث إن شاء الله .
31- المعجب / 276-277 .
32- المصدر السابق / 277-278 .
33- البيذق : أخبار المهدي ابن تومرت / 41، ابن قنفذ : الوافي بالوفيات / 273 .

شؤون العالم الإسلامي ومشكلاته

انتصار الجهاد الأفغاني
الآمال والعقبات

مـا مـن حـدث هـام على مـدى الأعـوام العشر الماضية هيمن على مشاعر المسلمين في أنحاء الـعـالـم وأذكـى هـمـمـهـم وردّ لهم الثقة في أنفسهم وأحسهم بعزة الإسلام كما فـعل جهاد المسلمين الأفغان ، وما من نبأ في عصرنا الحديث أدخل الغبطة إلى قلوب المسلمين ، وشفى صدورهم كما فعل نبأ سحب الروس لقواتهم من أراضي أفغانستان المسلمة وهي تجر وراءها ذيول الخيبة والذل مقرّة بإخفاقها التام حتى في تحقيق جزء من الأهداف التي من أجلها دنست أراضي افغانستان ، وتبددت في ذلك أحلام الامبراطورية الروسية في جعل ذلك البلد المسلم جرماً جديداً يدور في فلكها - على أقل تقدير - إن لم نقل ابتلاعه كلياً وضمه تحت رايتها الحمراء إلى جانب الجمهوريات المسلمة الآسيوية الكثيرة المنسية والقابعة تحت نير الشيوعية .

وبدخوله عامه العاشر ، يكون الجهاد الأفغاني قد قطع شوطاً بعيداً في طريق الوصول إلى أهدافه النهائية -بإذن الله- ، بل لعل الفترة المتبقية لفتح باقي المدن المحاصرة ، ومنها العاصمة كابول واقتلاع النظام الشيوعي العميل لم تعد تمثل سوى جزء يسير من مدة عقْدٍ من الزمان من القتال الضاري المتواصل .
فالمجاهدون متفائلون في تخليص البلاد من دنس الشيوعية وإقامة دولة إسلامية -إن شاء الله- .
إلا أنه ليظهر لمن أمعن النظر جيداً في مجريات الأمور على الساحة هناك أعداء الجهاد الكثر على اختلاف مللهم وعقائدهم ممن لا تكمن مصالحهم في وجود حكومة إسلامية سنية قوية في كابل سوف لن يدعوا الطريق مفروشاً بالزهور والرياحين للمجاهدين وقادتهم وهم يخوضون غمار المراحل الحاسمة من قتالهم المرير ، بل ولا حتى في المرحلة التي ستشهد قيام دولتهم -بإذن الله- ، لاسيما إذا ما أعدنا إلى الأذهان تآزر وتكاتف تلك القوى على مر السنوات العشر المنصرمة . وتبادلها الخبرات والتجارب المختلفة في كل ما من شأنه إضعاف المجاهدين والحد من انتصاراتهم .
ومكامن الخطر التي هددت وتهدد الجهاد لم تكن خافية يوماً ما على من دقق النظر في أحوال ذلك البلد وما جاوره من شعوب مختلفة ، فأفغانستان دولة محاطة بدول يجمعها قاسم مشترك ألا وهو محاربة الإسلام والإبقاء على المسلمين في حالة ضعف وتفرق ، كما أنه ليس في مصلحة أية دولة من هذه الدول قيام دولة إسلامية حقة من شأنها إيجاد موطئ قدم للمسلمين في ذلك البقعة من العالم . ولقد سبق لنا الحديث عن خطورة الدور الذي بالإمكان أن تلعبه تلك الدول في تحديد الصورة النهائية للجهاد ، وذلك في أعداد سابقة من البيان (1) ، وكنا قد شددنا القول على الدور الخطير الذي تضطلع به إيران الخميني للحيلولة دون انفراد المسلمين السنة في دولة مستقلة لهم .
ولقد وجدنا من الأهمية بمكان إيراد بعض مما كنا قد حذرنا إخواننا المجاهدين منه في الماضي لكي يتسنى للقارئ المقارنة بين ما جاء في تلك المحاذير وبين ما آلت وتؤول إليه مجريات الأمور وتطورات الأحداث هناك ، لعل ذلك يكون درساً لأصحاب الهمم العالية والنوايا الطيبة من أبناء هذه الأمة ، لاسيما الشباب منهم على وجه الخصوص ، لطرح الانقياد وراء العواطف والانفعالات جانباً ونهج طريق الدراسة والتحليل العميقين وعدم التهوين من شأن العثرات والهفوات ، ومحاولة الاستفادة من أخطاء الآخرين ، ومما جاء في "رسالة مفتوحة للمجاهدين الأفغان" ، في العدد الأول :
"ومن هؤلاء المكذبين الذين نحذر إخواننا المجاهدين من شرورهم ومكائدهم :
1- المنافقون .
2- الباطنيون .

لا تنتظروا خيراً أو تعلقوا آمالاً على جند عبد الله بن سبأ اليهودي ، إنهم عون للطغاة المتجبرين ، وعيون للغزاة المستعمرين ، قلبوا صفحات من تاريخهم الأسود ترون فيه العجب العجاب من موالاة أعداء الله من التتار واليهود والصليبيين وعداوتهم لأولياء الله بدءاً بأم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- ، ومروراً بالشيخين أبي بكر وعمر ، وانتهاءاً بسائر الصحابة -رضي الله عنهم أجمعين- ، اسألوا إخوانكم الذين اكتووا بنيرانهم وشرورهم في بعض بلدان العالم الإسلامي ، ولا تصدقوا أقوالهم ووعودهم فمن صفاتهم الغدر والكذب ، ولن يتورع هؤلاء الباطنيون عن التعاون مع الشيوعيين ، كما أنهم لن يقصروا في استغلال إخوانكم وبذل المحاولات من أجل زعزعة إيمانهم وتشكيكهم بأصول دينهم" .

وفي موضوع "جهاد المسلمين الأفغان يمر بأخطر مراحله" ، الذي نشر على صفحات العدد السادس ، جاء تحت فقرة "أين مواطن الخلل" ما يلي :

1- الباطنيون الرافضة :

"لا تظنوا أن اشتراكهم (الرافضة) معكم في مجلس الشورى ومجلس الوزراء سوف يساعد على وجود هدنة بينكم وبينهم ، إنهم إن قبلوا بهذا الاشتراك فسيكون - أي الاشتراك بحد ذاته - ميداناً جديداً من ميادين صراعهم معكم ، فأنتم في نظرهم كفار ناصبة ، وليس بينهم من يعتقد بأننا مسلمون عصاة على الأقل ، وسوف يتعاونون مع السوفييت والأميركان واليهود ضدكم..

وسوف يجعلون من أفغانستان "لبناناً" آخر بل أشد من لبنان... فخذوا حذركم يا إخوة ، وصراعكم مع هؤلاء الغلاة لن يكون أقل من صراعكم المرير مع الشيوعيين.. واعلموا حق العلم أنهم لم ولن يقبلوا أن يقوم للمسلمين السنة دولة في أفغانستان ، ولا نشك أنكم سوف تخوضون معركة معهم ، وسوف يفرضون عليكم هذه المعركة فرضاً ، والله أعلم ، وسوف يجدون من يتعاون معهم من ضعاف النفوس وطلاب الزعامات وبعض أصحاب الاتجاهات الباطنية فانظروا ما تفعلون" .

وهاهو عام ونصف العام يمضي على كتابة تلك السطور وإيران وعملاؤها والآخرون مشمرون عن ساعد الجد لضمان إقحام أنفسهم في المعادلة النهائية في أفغانستان ، فإيران التي تتكلم اليوم باسم المسلمين في أنحاء العالم ، حتى ليظن الأوربي في بلاد الغرب أن الخميني لدى المسلمين هو بمثابة البابا لدى النصارى ، إيران هذه لا يروق لها زوال منصبها هذا ، كما أن مجاورتها لدولة إسلامية سنية يعني بالضرورة فضحها على الملأ وكشف أساليبها في تضليل أبناء الشعوب الإسلامية لا سيما الشباب منهم ، هذا إلى جانب كون أي حكومة سنية في كابل ستكون عمقاً لأهل السنة المقهورين في إيران ، وقل مثل ذلك بالنسبة لروسيا الجاثمة على صدور الجمهوريات

الآسيوية المسلمة حيث بخارى وسمرقند وطاشقند موطن كبار أئمة هذه الأمة .

إن فرائص قياصرة الكرملن في موسكو لترتعد لسماع كلمة جهاد أو حكومة إسلامية في أفغانستان لا لشيء سوى ليقينهم بأن تحقق ذلك سيعني انفلات قبضتهم الحديدية عن تلك الشعوب المسلمة ، أما في الهند فيراقب الوثنيون هناك بقلق بالغ تطورات الأحداث في أفغانستان لصالح المجاهدين وما سيجره ذلك عليهم من متاعب من قبل المسلمين الهنود البالغ عددهم (150) مليون والذين يتوقون إلى ذلك اليوم الذي تقوم فيه دولة الإسلام في تلك البقاع لتخفف عليهم - إن لم نقل تنقذهم مستقبلاً - من هيمنة السيخ والهندوس .

أما باكستان فشأنها لم يعد ذاك الذي كان عليه إبّان حكم ضياء الحق ، فعلى الرغم من أن الحكومة الجديدة هناك لم يبدر منها بعد وبشكل واضح ما يعوق مسيرة الجهاد في أفغانستان - وذلك راجع إلى حد كبير إلى النفوذ القوي الذي مازال يحتفظ به كبار ضباط الجيش الذين كان قد عينهم ضياء الحق -إلا أن معرفة الخلفية الفكرية والثقافية التي تنحدر منها رموز القيادة والشعارات والمبادئ التي أطلقتها وتطلقها قبل وبعد استلامها السلطة ، كافية لتحديد الصورة التي سيرتسم بها موقفها المستقبلي إزاء مسألة قيام دولة إسلامية في أفغانستان ، فإننا إذا قلنا أنها سوف لن تلتزم موقفاً عدائياً صريحاً من النظام الجديد فإننا في الوقت ذاته نقول وبلغة الجزم إنها لن تكون من المتحمسين لقيامه ، ولا حتى إلى تطبيق الشريعة الإسلامية ، أياً كان ثوبها ، أما علاقات باكستان الإقليمية الجديدة مع الهند وإيران وتوافق وجهات نظرها معهما فهي مما لا يُبشر بخير ، وهي دليل آخر على ما نقوله ، فما إن استلمت بي نظير دفة الحكم حتى انقلبت كل العقبات التي كانت تعوق قيام علاقات أفضل مع الهند إلى مصالح مشتركة ، وتحوّل الجمود الذي كان يسود علاقات البلدين إلى دفء .

إن محور موسكو كابل طهران نيودلهي يحيط بأفغانستان إحاطة السوار بالمعصم ، فهؤلاء جميعاً على يقين مما قد يفجره هذا الجهاد من طاقات كامنة لدى شعوب المنطقة المسلمة وهم على دراية مطلقة من أن انتصار المجاهدين الأفغان إنما هو انتصار لكل المسلمين ، وأنه انتصار عالمي وليس محلياً ، وأنه صراع عقائدي يبن حق وباطل .

وهذا الذي قلناه في الماضي ونكرره اليوم ليس ضرباً من الخيال أو رجماً بالغيب ، فالتنسيق بين أجهزة مخابرات تلك الدول لتحقيق كل ما من شأنه عرقلة الجهاد على مدى أعوامه العشر لم يعد مسألة تحتاج إلى برهان ، فكم من مؤامرة انكشفت كانت تستهدف طعن الجهاد وقادته من الوراء حاكتها أيادي المجرمين في تلك الدول ، وما حادث تحطم طائرة ضياء الحق عنا ببعيد .

أما في الفترة الراهنة ، فإن الدور الذي تمارسه إيران وتهدف من خلاله إلى كسب موطئ قدم لها في حكومة المجاهدين عن طريق أتباعها بات أوضح من أن يحتاج إلى دليل ، فقد أسفرت طهران هذه المرة عن وجهها الحقيقي ولم تعد تجديها كما يبدو أساليبها الخفية ، ووصل تدخلها المباشر في شؤون المجاهدين إلى درجة محاولة فرضها لعدد مقاعد مجلس الشورى ، التي يجب أن يحصل عليها الشيعة - والذين لم يكن لهم دور يذكر في الجهاد - وزعمها أنهم يمثلون ثلث مجموع السكان ، والأكثر من ذلك وقوف سفيرها لدى إسلام آباد يتهدد ويتوعد قادة المجاهدين إن هم لم يمنحوا الشيعة (120) مقعداً .
وفيما يلي نورد جانباً من تهديدات السفير الإيراني الموجهة للشيخ سياف كما ذكرتها نشرة (لهيب المعركة) الصادرة في بيشاور نقلاً عن وكالة البنيان الصادرة بتاريخ 13 / 2 / 1988:" »هـدد سـفـيـر ايـران لـدى إسـلام آباد بأن الحكومة الإيرانية سوف لن تعترف بحكومة المجاهدين إذا لم يحصل الشيعة على (120) مقعداً في مجلس الشورى فرد عليه الـشـيـخ سـياف - المتحدث الرسمي لائتلاف المجاهدين - : إن أردتم مالاً حتى تعترفوا بحكومتنا فسنحاول أن نوفر لكم ذلك لتعترفوا بنا أما إذا أردتم قطعة من أرض أفغانستان لتعترفوا بنا فلن نعطيكم هذه الفرصة ، وأنتم تعرفوننا جيداً .
ثم قال السفير: إذا لم تنصفوا الشيعة مع السنة في الشورى فسنقوم بأعمال تخريبية داخل أفغانستان ، فرد الشيخ سياف : إننا لن نعطي الشيعة في إيران أكثر مما قررناه وذلك ليس بضغط من أحد علينا ، وهذا القرار حقنا وبرضانا ، فقد قررنا ما رأيناه حق ولا دخل لكم بذلك ، وتابع رده قائلاً : ثم إنكم لماذا تتدخلون هكذا وليس ذلك من حقكم ، ولماذا تتكلم بهذه الحدة معنا وأنتم تعرفون من نحن ، وكرر الشيخ سياف تحذيره للسفير الإيراني بأن لا يعاود التدخل في شؤون المجاهدين الداخلية« .
وهكذا تثبت الأيام ما كنا قد ذكرناه من أنّ إيران وأتباعها -سيراً على خطى ابن العلقمي ونصير الدين الطوسي - لن يتورعوا في رفع السلاح ومقاتلة المجاهدين وها هو سفيرهم ينطق بذلك وما ذاك على سجلهم تجاه المسلمين بغريب .
أما موقف الحكومة الإيرانية الرسمي تجاه الوضع في أفغانستان فيتلخص في :
- وجوب الاعتراف رسمياً بأن الشيعة يشكلون نسبة 30% من مجموع السكان .
- جود احتلال الشيعة لما لا يقل عن 25% من المناصب الوزارية .
- إعطاء الشيعة حكم ذاتي كامل في الأقاليم التي يشكلون أغلبية فيها.
- منح علماء الشيعة حق النقض بشأن القرارات التي تتعلق بهم .

إن إيران تجاهر بأعلى صوتها لوقوفها وراء شيعة أفغانستان الذين لا يتجاوزن نسبة 10% من مجموع السكان ، أما السنة في إيران - الذي يجاوزون ضعف نسبة الشيعة الأفغان - فما من صوت لا في داخل إيران ولا خارجها ينبئنا بأحوالهم ولا بأخبار تمثيلهم بالبرلمان الإيراني .

إنه كلما خطى المجاهدون خطوة جديدة باتجاه قطف ثمار تضحياتهم ، ازدادت مكائد الأعداء واشتد غيظهم ومكرهم ، فما أحوج المجاهدين إلى الحذر واليقظة أكثر من أي وقت مضى لما يحيط بهم من مؤامرات وأشراك ، ليست هذه الأيام القلائل المتبقية -بإذن الله- أهون على سلامة الجهاد وقطف ثماره مما مضى فكل متربص بهم الدوائر وكلهم يغيظه ظهورهم .

إننا لعلى ثقة أن المجاهدين الذين استطاعوا الاستقلال بقرارهم على مدى الأعوام العشر الماضية أن يفوتوا الفرصة على أعدائهم وعلى كل من تسوّل له نفسه التدخل في شؤونهم وإملاء رغباته عليهم ، وما ذاك إلا من خلال نبذ الخلاف والاتحاد والتآزر ضد عدوهم ، وما النصر إلا من عند الله .

اللهم انصر المجاهدين على أعدائك أعداء الدين .

1- العددان الأول والسادس .

الانتفاضة
من وجهة نظر العدو

عندما انطلق الشعب الفلسطيني الأعــزل في انتفاضته في مواجهة عساكر اليهود المدججين بالسلاح، طلع قادة اليهود بتهديدهم ووعيدهم من أنهم سيضربون هذه المرة بيد من حديد، وسيسحقون الانتفاضة ويستأصلونها من جذورها وأنهم على يقين من أن "أعمال الشغب" غير المجدية هذه سوف لن تلبث أن تـنـطـفـئ في غضون أيام معدودة ، كما توجه الزعماء اليهود بالنصيحة إلى الفلسطينيين من أجل وقف أعمالهم تلك التي لن تحقق لهم أي هدف مهما صغر ، وأن هذه الانتفاضة من المستحيل أن تؤثر في إسرائيل وقوتها .

وبعد انقضاء ما يزيد على ستة عشر شهراً عـلـى تـلـك الـتـصـريـحـات والتهديدات ، فإن الانتفاضة مازالت مستمرة وبنفس الاندفاعة الأولى إن لم تكن أشد ، عـلـى الـرغـم من كثرة الضحايا الذين سقطوا بالرصاص اليهودي ، وبالرغم من كل المآسي التي لحقت بالـشـعـب الـفـلـسـطـيني طوال تلك الفترة فما زال ذلك الشعب بكل فئاته ، شبابه وشيوخه ونسائه وأطفاله ، واقفاً راسخ القدمين ، يداً واحدة يرجم اليهود غير آبه بعددهم ولا عدتهم .

ولنا - في هــذا المقام - أن نلقي نظرة مماثلة على الطرف الآخر من معادلة الانتفاضة هذه حتى نرى الصورة الواضحة لما يجري على أرض فلسطين .

وإلى القارئ الـكريــم طرفاً من تصريحات أولئك القادة والضباط والمفكرين والعساكر ، ولكن بعد مرور ستة عشر شـهـراً مـن عـمـر الانتفاضة ، اقتطفناها من بعض الصحف والمجلات العالمية ، ونتبعها بتعليقات موجزة لـمـراسـلي هـذه الـصـحـف ممن وقفوا على جانب من الأحداث هناك :

"إننا في مقاومتنا للانتفاضة نعمل على تآكل طاقات الجيش البدنية والفكرية" .

يوش ساريد ، عضو في الكنيست - مجلة التايم 30/1/1989

"إنه من غير الممكن القضاء على الانتفاضة ، ذلك أنها تعبر في جوهرها عن كفاح أمة" .

دان شومرون ، رئيس الأركان الإسرائيلي - الإيكونومست 28/1/1989

"إن بمقدرة دولة إسرائيل التغلب على خمسة جيوش عربـيـة، إلا أنــه لـيـس بمقــدورها التغلب على الانتفاضة" .

موشي قعوز ، بروفيسور في الجامعة العبرية -التايمز 1/2/1989

"إن العنف الذي نستخدمه ضد الأهالي يُذكي لدى الفلسطينيين روح الإحساس بالقومية ، ويقوي من شأن العرب ، في حين أن إسرائيل آخذة بالضعف" .

جنود إسرائيليون - الإيكونومست 28/1/1989

"إنـهـا (الانتفاضة) تمزقنا إرباً وتقوي العرب ، الحل السياسي هو المخرج الوحيد الــذي ينقذنا من هذه المهانة" .

جنود إسرائيليون - مجلة التايم 30/1/1989

"إنني كإنسان أشعر بالإنهاك بسبب الانتفاضة ، إنها تحطمني" .

جندي إسرائيلي - مجلة التايم 30/1/1989

"ما من شيء قد التهم قلب المؤسسة العسكرية الإسرائيلية - منذ غزو لبنان - مثلما فعلت الأشهر الأربعة عشر الماضية من القتال المر ضد الأطفال وحجارتهم" .

"في العام الماضي صدرت توجيهات إلى الجنود :

بضرب المتظاهرين .

إسقاط الحجارة عليهم من طائرات مروحية .

ضربهم بالقنابل المسيلة للدموع .

ضربهم بالأعيرة المطاطية والبلاستيكية .

إلا أنه ما من واحد من تلك الأساليب أدى مفعوله في إيقاف الانتفاضة ، حتى إن بعضاً من أعضاء حزب (ليكود) أخذوا يشككون في جدية أية إجراءات جديدة" .

"إن الجيش لا يواجه هزيمة عسكرية ، بل هزيمة معنوية" .

ماك جيري-مجلة التايم
"لاخلاف في مدى الإحساس بالقلق والاحباط المتزايدين اللذين تواجههما إسرائيل في مواجهتها للانتفاضة" .
"يبدو أن الآمال في وضع نهاية للانتفاضة في أوساط الجيش قد انهارت" .
مراسل الايكونومست

الجزائر .. سقوط الاشتراكية

صوّت الشعب الجزائرى يوم 23/2/1989 على دستور جديد للبلاد ، وكان أهم ما في هذا الدستور إسقاط لفظة "الاشتراكية" التي كانت مفروضة فرضاً ، كما كفل الدستور الجديد -في ما كفل - حرية الرأي وحرية المراسلات والاتصالات الخاصة بكل أشكالها ، وكذلك كفل حرمة المساكن وعدم انتهاكها أو تفتيشها إلا بأمر قضائي مكتوب .

ولاشك أن ذلك مما يفرح به المسلمون في كل مكان ، ولكن العبرة ليست في النصوص المكتوبة ؛ وإنما العبرة في التطبيق العملي لهذه النصوص ، فكم من الدساتير من يشيد بالحرية ويعتبرها أساس حق المواطن ، ولكن ذلك لا يعدو أن يكون حبراً على ورق .

ومن أجل انتهاك الحريات ، والتسلط على رقاب الناس لا يعدم المتسلطون وسيلة ينفذون بها ذلك تحت أنواع كثرة من التسويفات والذرائع ، ويضربون بالدساتير وموادها عرض الحائط .

والمشكلة مشكلة أخلاقية في الأساس ، بل مشكلة خراب عقائدي وفراغ مبدئي . وما لم يصلح هذا الخراب ، ويسد هذا الفراغ بعقيدة صالحة فإنه لا الدساتير المكتوبة ولا الإجماع عليها يحل المشكلة .

فمن الذي يضمن أن لا يتحول الفساد الذي كان يقترف في ظل النظام الاشتراكي إلى فساد يمارس في ظل نظام يتجه إلى الرأسمالية ؟ فالفساد هو الفساد مهما تستر ، وبأي لون ظهر ، ومشكلة المفسدين أنهم أينما تميلهم الريح يميلوا ، وبما أن هذه الفترة فترة إفلاس للاشتراكية : الحقيقة والمستوردة المزورة ؛ فإنه من المرجح أن ينقلب هؤلاء الذين كانوا بالأمس يسبحون بها بكرة وعشياً إلى لعانين لها كاشفين لسوءاتها . وإذا أردنا دليلاً على ذلك فما حدث في مصر في عهديها الاشتراكي والانفتاحي يشكل النموذج .

إن المخرج الحقيقي من هذا العناء المتعدد الجوانب الذي تعانيه هذه الشعوب هو أن تستمد حكوماتها شرعيتها من عقيدتها ودينها ، وتقتبس ضمانات العدالة فيها من مبادئها وتراثها ، فإن المنطق الصحيح ، والتجربة العملية أثبتت أن هذه الشعوب لن تحترم شيئاً يأتيها من شرق أو غرب ، ولن تدين

بالولاء لأساليب مستوردة يفرضها عليها أذناب الاستعمار وخدم أعداء الإسلام . والولاء الذي نقصد ليس الخضوع الذليل لجبروت التسلط ، فهذا ولاء كاذب غير مضمون العواقب ، ولـكـن الـولاء الـنابع من القلب الذي ينتج عنه التوافق المنتج ، والتطور المبدع بين الشعب والسلطة .

بأقلام القراء

من غرائب الصحافة العربية

عبد الحميد سعيد

بينـمـا كنت أتصفح بعض المجلات العربية إذ شد انتباهي ظاهرة غريبة أحسبها جـديـرة بالوقــوف قـلـيــلاً ، ذلك هو الأسلوب ونمط الحوار الذي يسلكه مندوبو تلك المجلات في لقاءاتهم ومقابلاتهم الصحفية مع الشخصيات المختلفة .

إن القارئ ليلمس ذلك البون الشاسع بين مقابلة وأخرى - على صفحات المجلة الواحدة - من جهة طبيعة الأسئلة التي تغيرها المجلة وكيفية طرحها بل وحتى المستوى الخلقي الذي يظهر به مـديـر الـمقابلة . ففي الوقت الذي تحاور فيه المجلة شخصية إسلامية - على وجه الخصوص - تجـد الـصـحـفـي يتفنن في صياغة حواره وبالشكل الذي يسيء إلى تلك الشخصية كما أنه لا يألو جهداً لإثــارة كل ما من شأنه الانتقاص من ضيف المقابلة ، وليس ذلك نابعاً في ظني من موقف تقفه هـذه الـمـجــلات تجاه رجال الدين بشكل عام ، بسبب النهج العلماني الذي تسير عليه مثلاً ، فإنك تـجـد وجه المجلة الآخر مشرقاً وهو يحاور شخصية دينية مثل البابا شنودة الذي ينال أسمى الألـقـاب خــلال المقابلة وينُعت بأحسن النعوت التي تبرز على أنه رجل الدين المثالي ، وهو كذلك بالنـسـبـة لـهـم . إنـنـا ندعو الصحافة العربية ألا تكيل بمكيالين ولا تزن بميزانين .

وراء كل عمل دافع

عبد الله حماد حامد الجهني

إن الإنـســان يـتـعـلـم إن كانت لديه رغبة في التعلم ، وكانت لديه القدرة ، وأتيحت له الفرصة لذلك وقدم إلـيــه الإرشاد فيما يتعلم ، غير أن الرغبة والقدرة والفرصة والإرشاد لا تجدي إن لم يكن لدى المتعلم ما يدفعه إلى التعلم إذ لاتعلم بدون دافع .

إذا عرفنا هذا فمن السهل أن نعرف سبب تفوق تلميذ متوسط الذكاء على تلميذ آخر أذكى منه ، إنه الدافع .

فالدافع من أهم العوامل الـتــي تساهم في التربية بوجه عام والتعلم بوجه خاص . فالتعليم الناجح هو التعليم القائم على إشـبــاع دوافع التلاميذ وحاجاتهم ، وكلما كان الدافع قوياً زادت فاعلية التعليم أي مثابرة الـمـتـعـلـم عليه واهتمامه به ، ويتسم السلوك الصادر عن الدافع بالنشاط والاستمرار .
وتقسم الدوافع الى قسمين :
فطرية : كالجوع دافع للأكل ، والعطش دافع للشرب ، والتنفس دافع للحياة .
ومكتسبة : كالسيطرة وتوكيد الذات دافــع إلـى الظهور والغلبة ، ودافع التملك والادخار ملحوظ في المجتمعات الرأسمالية .
وللدوافع ثلاث وظائف في عملية التعلم هي :
أ- أنها تضع أمام المتعلم أهدافاً معينة يسعى لتحقيقها.
ب- تمد السلوك بالطاقة وتثير النشاط .
ج- تساعد على تحديد أوجه النشاط المطلوبة لكي يتم التعلم وتستغل هذه الدوافع من قبل المربين بعد معرفة شخصية كل متعلم .
فالمتعلم المادي مكافئة مالية تكون دافعاً له بأن يضاعـف جهــده ، والوعد برحلة من أكبر الدوافع الاجتهادية لدى الأشخاص ، وتخفيف مدة السجن عــن السـجـيــن من الدوافع للانضباط ، ومن هذا المنطلق يجب على الدعاة والمربين معرفة أهم دافع في الـوجـود وهــو الـدافــع الــذي جعل الرسول - صلى الله عليه وسلم - يتحمل أذى الكفار الذي لا يمكن تصوره ، وهــو الذي دعا ذلك الصحابي أن يلقي بتلك التمرات من يده ، ويقدم نفسه في سبيل الله ، وهو الذي دفع جميع السلف إلى تعلم العلم والعمل به ذلك الدافع هو الإيمان وحب الله ورسوله.
فحري بكل داعية أن يجتهد بزرع هذا الدافع في نفوس الناس بشتى الطرق وبكل الوسائل حتى يعود للأمة مجدها .
* ومن الأخ محمد عبد الرحمن العريفي جاءتنا هذه المساهمة :

يا غافلاً تـتـمـادى غداً عليك يُنادى
هذا الذي وعـظـوه وخوّفوه الـمعـادا
هذا الذي لم يقدم قبل الترحل زادا

مكتبة البيان

إعداد : محمد الحسيني

1-(حول التفسير الإسلامي للتاريخ) للأستاذ محمد قطب الناشر : المجموعة الإعلامية ، الطبعة الأولى 1408 هـ ، 279 صفحة .
وهو كما يقول المؤلف : "وهذا الكتيب لا يـمـكـن بطبيعة الحال أن يتسع لدراسة مستوعبة للموضوع ، إنما هو بالأحرى دعوة للمختصين ليقوموا بهذه

الدراسة ، وأن يكون في الوقت ذاته دعوة للمؤرخين المسلمين أن يعيدوا كـتابة التاريخ البشري من زاوية الرصد الإسلامي المتميزة" .
وقضية التفسير الإسلامي للتاريخ مـا زالـت في إطارها النظري الذي لم تتميز معالمه ، وهذا الكتاب لبنة في محاولة هذا التفسير ، والذي ما زال ميداناً بحاجة إلى الدراسة والمناقشة.

***

2- (مـوقـف الدين من العلم) د. علي فؤاد باشكيل : كتب في التركية وترجمه إلى العربية أورخـان محمد علي ، دار الـوثـائـق - الكويت 1405هـ ، فيه ردود على من ينكر أهمية الإيمان للناس في حياتهم ونقد لبعض الأفكار الغربية.

***

3- (الحداثة في منظور إيماني) د. عدنان رضا النحوي، الطبعة الأولى 1409ـ 1988، دار النحوي للنشر والتوزيع الرياض، (168) صفحة.
يناقـش الكـتـاب قصة الحداثة وأنها مذهب فكري أدبي قادم من الغرب أو صــرعــة مــن صرعاته، ومـــا أكثر مذاهبه وصراعاته الأدبية والفكرية نتيجة الضلال الذي يعيشه، ثم يورد نماذج من المقلدين لهم مـثـل أدونـيـس، وكمال أبو ديب، وعبد الله الغزامي، وينقل نصوصا من أقوالهم وترتبط الحداثة بالماركسية أو بالتصرف الغنوصي، ويدعـــو الكاتب في النهاية إلى تفهم المنهج غلإسلامي وفهم الواقع فهملا صحيحا.

***

4- (القضية الإسلامية في سياسة الشرق الأوسط) تألـيـف: آلن تايـلـور الـولايـات المـتـحدة 1988 1988، (150) صفحة.
من القضايا التي اهتم بمناقشتها قضية فشل الأنظمة القومية اللادينية في المنطقة والمشكلات التي تقابل البحث عن البديل الإسلامي.

الصفحة الأخيرة

أين القدرات الفكرية ؟!

هناك أمر ملحوظ بوضوح شديد، وهو عزوف أهل العلم والفكر عن مهمتهم التي لا يستطيع أن يـقـوم بـهـا غـيـرهـم، وهي التوعية والقيام بأمر التبيين، وبكلمة مختصرة: النزول من الأبراج العاجية ، والانخـراط يـبـن الـنـاس ، وقـيـادتهـم وتبني مشكلاتهم ، والإحساس بشعورهم ، ومعالجة قضاياهم .
إن الذي يجعل أهل العلم يحجمون عن ذلك أمور هي في ظـاهرها حجج قد تكون مقبولة ، ولكنها في حقيقتها ليست إلا حججاً مصطنعة تأخذ أكثر من نصيبها من الاعتبار ، وتتخذ تكأة للضعف والنكوص والانسحاب من الواقع .

إن كثيراً من أهل الفكر يتعللون بفقدان الحرية ، أو ضيق الـوقـت ، أو بالاستغراق في مهام أخرى...

صحيح أن هناك موانع وعوائق في مجال النشر والكتابة، ولكن المؤمن المصمم الكيس الفطن لا يعدم وسيلة يوصل بها أفكاره ، إذا صح العزم وخلصت الـنـيـة ، وكـثـيـر مـن الـنــاس يفـهـمـون الحرية فهماً مجتزأ كأن يتصوروا السماح لهم بسب هذا وتجريح ذاك ؛ دون أن يكلفوا أنفـسـهـم ضرب المثل للعمل الإيجابي والجهد المثمر وكيفية أن ننجز أمراً مهما كان صغيراً ، ودون أن ننجرف في الإثارة والغليان ولا نحقق شيئاً .

وكذلك مسألة ضـيـق الـوقت ، فلو نظر الشاكون من ضيق الوقت إلى كثير من الأعمال التي تضيق بها أوقاتهم لوجدوهــا لا تستـحـق أن يـشغل الإنسان بها وقته ، ولأزالوا من طريق العمل المثمر المبني على خطط مرسومة يُحاسَبُ عيها ، فيثاب ويكافأ من نفذها في وقتها ، ويعاقب ويقصي من قصر في تنفيذها .

نزولاً إلى الساحة ؛ فالساحة فارغة ، واهتماماً بالأجـيـال الإسـلامية ؛ فالأجيال متعطشة وتركاً للكسل والترهل والاستنامة إلى الفتن والشهوات ، فهي مرتع وبيل لم تجن منه الأمة الإسلامية إلا السير إلى الوراء ، وسعياً في ركاب العلم النافع الذي يبني ولا يهدم ، وبعداً عن أساليب الإثارة فهي مضيعة للوقت ، ومجال تتسلل منه الـفـتن بـشـتـى أنـواعـهــا،

ولمْ أر في عيوب الناس عيباً   كنقص القادرين على التمام

تمت بحمد الله
